كتاب
مرشد العابد ودليل القاصد
الى وجوب العبادة

تأليف العلامة

الأسقف الأنبا إيسيذورس

كتاب
مرشد العابد ودليل القاصد
الى وجوب العبادة

قال المسيح للسامرية. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن
فنسجد لما نعلم لان الخلاص هو من اليهود ولكن تأتي ساعة
وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح
والحق (يو ٤ : ٢٢ و ٢٣)

بسم الآب والابن والروح القدس

الاله الواحد

حمدك يامن زينت جيد العابد بعقد أجمل الصفات وحليته بقلائد منظومة من لؤلؤ فى سلك من أكمل الزينات اذ رفعته الى ذرى المجد بالفضل والكمال وأصعدته فأمتطى صهوة العز والاعتدال وسربلته بأثواب الفخار والجلال فحاز برفعته المكاسب وحز برتبته المناقب واكتسب الملكات الرفيعة الحميدة والسجايا المنيعة المجيدة والاخلاق الكاملة والمزايا الفاضلة السعيدة فخلد له المآثر النبيلة والآثار والأذكار له الافعال الجميلة ذات الاعتبار اذ كان عابدا أى عابد وسائرا فى محجة الصلاح والسعادة راضخا لفروض الدين الصحيح ومتمسكا بشريعة السيد المسيح تابعا الحق اليقين ونائيا عن ضروب المين المبين مقتفيا آثار خطوات عباد العباد وحاذيا

حذو

حذو من انتهج وسلك منهج الحق وسبيل الرشاد متنافسا فى الحصول على قصب السبق فى هذا المضمار وحائزا راية العز ورافعا لواء الاستبشار ناصبا علم العبادة ومتملكا أربون السعادة . طالما حصن مدينته بحصون الصوم والصلاة ووزع من ثمرة جده على الفقير المدقع صدقة وزكوة انخرط فى سلك الوداعة وانتظم بعقد الحلم والوضاعة حفظ الهيكل الانسى طاهرا ونقاه باطنا وظاهرا أخذ بالاستعداد لتجرع كأس الحمام وانتظر الاستتباب فى دار السلام صبر على نزول نوازل الاتعاب الوقتية وتمتع بالراحة الكبرى الأبدية تحمل طوعا مكابدة المشاق والآلام الزمنية وصعوباته وحز بحبوحة النعيم وفرحه المستديم وسروره العظيم وملذاته اقتحم معامع الكروب والاخطار وهجم على كتائب الاعداء الالداء الاشرار اكتأب ففرح وحزن فرح بكى فضحك وافتقر فملك شقى فسعد ومات فخلد وضع فرفع وجاع فشبع عطش فشرب وتجرد فكسب استعبد فساد وذهب للمعاد ﴿ أما بعد ﴾ لما كانت العبادة يتوقف عليها مدار الخلاص للعام والخاص وكان الاكثرون من أبناء هذا الزمان يجهلون فروضها الحقيقية وشروطها الواجبة المرعية فضلا عما خامر قلوب أبناء الكنيسة الارثوذكسية من الافكار الغريبة وخالجت

ضمائرهم الشكوك والريبات الرهيبة من لدن أولئك الذين دأبهم رشق أسهم الريب ونبال الشك فى قلب وكبد اليقين ورمى والقاء الحقيقة تحت ستار الضلال المبين فأسعدنى الوقت وانتهزت الزمن وكأن لسان حاله يحرضنى أن أقوم بأعباء هذه الخدمة الاخوية وتتميم واجباتها الروحية فأتيت راضخا لرهين اشارته وبيان مقالته رغما عما بى من القصور الفاضح والضعف الواضح متطفلا على مائدة أرباب التآليف وناظما ما جمعته فى سلك التصانيف مبرهنا عن وجوب العبادة للذات العليه وما يتعلق بها من الواجبات وفروضها اللازمة فى الاوقات المحدودة والساعات معتمدا بذلك على برهان الكتاب القويم وشهادة التقليد الامين مفندا بذلك المشاكل المعضله ومبينا ما وراءها من السفسفات المختلفه محرضا أبناء الكنيسة للتمسك بعرى العبادة الوثيقة ومثبتها بما أنها هى الحقيقة فقد جاء لله الحمد كتابا يشرح الصدر ويقر العين ويميز الصدق من المين وقد سميته ﴿مرشد العابد ودليل القاعد﴾ الى وجوب العبادة فارجو من حلم العلماء الفاضلين والأئمة الكاملين غض الطرف عن الهفوات ومسامحة الزلات والغلطات لان مقر الكمال لله ولاعصمة لسواه

﴿الباب

{ الباب الاول }

{ فى وجوب العبادة والصلوة }

قد كنا سابقا نخال أن تلك الفرق التى خالفت فى مباديها تعاليم الكنيسة المقدسة القويمة الرأى ولا سيما المنتشرة فى بلادنا تحافظ كما نحن نحافظ على العبادة وتعتبر الصلوة أمرا لابد منه لايستغنى أحد عنه بما أنه واجب بالطبع فغب أن أخذنا بالاستقصا والبحث بالدقة وجدنا الحال بخلاف ما كنا نظن اذ أنها رفضت العبادة وأضحت لديها كأنها بدعة مستحدثة بنت زمانها أو نبت أوانها فبناء على هذا التعليم الجديد الذى انتشر كسم فى جسم الكنيسة وهذا الزوان الذى طلع فى حقلها وهذا الظلام الذى انبسط فى سماء انحائها وهذه الغمامة التى حجبت نور تعاليمها المقدسة رمنا متوكلين على هداية البارى وارشاده الالهى أن نضع بحثا فى هذا الموضوع ونجعله حرزا ووقاية وحفظا لابناء الكنيسة المقدسة الارثوذكسية كى لايغتروا بالتعاليم الغريبة فينضروا ولا يجربوا فيتغربوا من خطة الاستقامة وطريق السلامة فهلم بنا أيها القارئ الاريب والمطالع النجيب لنجول معا بالفكرة الوقادة والبصيرة الحادة ونتأمل بعين التروى بهذا الموضوع

الذى عليه يتوقف مدار خلاصنا ونجاة حياتنا دينا ودنيا

أما وجوب العبادة أو الصلوة فنستدل على حقيقته من أمرين أولهما طبيعى وثانيهما وضعى فالطبيعى هو الناموس الغريزى الذى فطرت عليه الجبلة البشرية ان الانسان لاغرو مركب من حقيقتين وهما جسد ونفس ومثل ما تحقق لدينا كل التحقيق أن الجسم مطبوع على طلب الاغذية ومجبول على تناول الاطعمة التى بواسطتها يستطيع أن يتحرك ويحس وينتقل بالارادة والاختيار كى يستفيد حرارة عوض ما تمحقه البرودة الطبيعية وتهلكه من حرارة جسمه الطبيعية هكذا تحقق لدينا انطباع النفس العاقلة على طلب التدين والعبادة وافتقارها الى الصلوة لكيما تقدم للخالق واجباتها العبودية كافتقار الجسم الى الغذاء حتى لو قيل لنا الآن ان انسانا ماقد جبل جسمه على عدم افتقاره واحتياجه لطلب الاغذية الضرورية لقيامه وحسه وحركته لربما نصدق أكثر مما لو قيل لنا ان نفسه طبعت وفطرت على عدم افتقارها لطلب التدين والتعبد وذلك بسبب الاحساسات الطبيعيه التى أوجدها الخالق ولا تزال موجودة فى قوى كل انسان فى كل عصر وزمان

واذا أخذنا بالبحث والسبر عن حقيقة هذه القضية

لاستنتجنا

لاستنتجنا من ذلك دليلا نظريا أرأيت باصاح تاريخ الامم السالفة كتاريخ هيرودوتس الشهير وتاريخ الرومانيين والمصريين والاشوريين واليونان وغيرهم من تواريخ الامم المتمدنة أو المتوحشه التي كانت قبل المسيح والتى اندثر بعضها ولم يبق منه سوى الاثر فجميعها تنادينا وتناشدنا كانها من فم واحد وصوت واحد عن حقيقة التدين ووجوب العبادة لمعبود لانه بمقدار ماوجدت أمم مختلفة على وجه الارض ونمت وانتشرت وقويت شوكتها بمقدار ذلك كان ينمى و ينتشر ويقوى معها روح العبادة والتدين اذ لم يمكن أمة مهما كانت حالها على وجه الارض أن تستغنى عن العبادة

واذا كانت تلك التواريخ حقيقية ولكنها حقيقية اذ مازالت وما برحت الآثار تشهد لصحتها وصحة وجود الامم التى نصت وحكت عنها فنصها عن وجود العبادة والتدين حقيق لايعتريه ريب وهنا ينبغى أن يفهم المطالع أن روح التدين الذى كان منتشرا بين تلك القبائل والامم المتبربرة أو المتمدنة على حد سوى هو شئ طبيعى مولود مع الانسان ينمو بنموه لاأدبى أواكتسابى لانه اذا ما كان طبيعيا وكان أدبيا أو اكتسابيا لما وجد عند كافة الامم فكان يوجد عند الاشوريين ولا يوجد عند الرومانيين لعدم قرب هؤلاء الى

أوائك ولو وجد عند المصريين لما أمكن وجوده عند الصينيين ولو وجد فى افريقا لما وجد فى أميركا ولو وجد فى قارة أوربا لما وجد فى أسيا و بالعكس مثلا الحرفة الفلانية وجدت فى افريقا ولكنها ماوجدت فى أميركا اما لبعد الواحدة عن الاخرى وعدم اختلاطهما معا أو لتمدن الاولى وتوحش الاخرى وهكذا قل عن باقى الاحوال الادبية التى لايمكن وجودها عند كافة الامم والقبائل والشعوب على حد سوى لاسيما فى أزمنة التوحش وعدم وجود طرق ووسائل بواسطتها يمكن اقتراب وامتزاج الامم ببعضها ولكن بالما امتنع وجود الاحوال الادبية كالحرف والصنائع والمهن والعادات فى الازمنة الغابرة بين تلك الامم المختلفة الاجناس والشعوب المتنوعة القبائل والمتباينة الالسن المتفاوتة الاعصار والمتفرقة الامصار فقد وجد بينها على هذا الاختلاف هذا الشئ الواحد ألا وهو روح العبادة واحساس التدين واذا كان مع تباين أخلاق وافتراق عادات واختلاف أحوال وأعصر تلك الامم قد اوجد بينها هذا الامر الواحد أعنى به التدين فمن يستطيع بعد ذلك انكار كونه طبيعيا نعم ولا مسلوب العقل وفاقد البصيرة

قد يتجرى المعترض ويدعى أنه بواسطة امتداد شوكة الاشوريين وتغلب الماديين والفارسيين قديما والمكدونيين

وار ومانيين

. وارومانيين حديثا قد امتدت روح العبادة وانتشرت فى العالم فى الارض كلها . ولكن هذا الاعتراض منقوض من وجهين الاول ان امتداد هذه الممالك كان محصورا فى اماكن معروفة ومحدودة فهى لم تبلغ باستيلائها على كافة أقاليم الارض فالممالك القديمة كانت محصورة مملكتها فى أسيا وبعض من أفريقا وأوربا والاخرى مثلها مع بعض اتساع قليل وأغلب تلك الاقاليم التى كانوا يفتحونها كانوا يتحاشون عن تغيير شيأ من شرائعهم وعوائدهم الاقليمية ومع ذلك فمن نشر روح العبادة ومد روح التدين بين احراش أفريقا واحراش أميركا وغيرها من الممالك والاقاليم التى لم يطئها قدم غريب الثانى ان تلك الاماكن التى كانت تفتح كانت العبادة موجودة عندها من قديم فلم تستجد عليها بواسطة افتتاح الملوك اياها نعم كان يحصل بينها بعض تغيير وتبديل باتخاذ المعبود الفلانى كونه مشهورا بالقوة والشجاعة أو الجمال والحسن دون غيره ولكن لايزال المبدأ واحدا على حاله وهو العبادة

نعم قد سمعنا نقلا عن بعض اللاهوتيين ان قوما من السائحين اشاعوا انهم دخلوا بين قبائل متوحشة لاتعترف بوجود معبود ولكن لدى فحص المدققين وجد هذا الخبر اشاعة لا أصل لها وخبرا كاذبا اذلم يوافق رأى السواح المتقدمين والمتأخرين لان

جميعهم تواطؤوا على وجود العبادة على اختلاف أنواعها بين كافة القبائل وكأن ذلك كان وحيا هبط على كل منهم من السماء فبالحقيقة ان وجوب تقديم العبادة لذات معبود هو مغروس في سجية الانسان اذ بعد السقطة الجدية مابرح احساس موجودا بالطبع البشرى يحركه دائما في كل عصر وزمان على تأدية واجبات العبادة لمعبود وهذا برهان قاطع يمكنه ان يلاشى كافة الاكاذيب التى نسمعها فى هذا الزمان الذى فيه على ستار الضلالة قلوب آل البدع الذين كفرهم ماهو الا كفر بنفس التواريخ والطبيعة نفسها والآثار التى أيدته وأعطت الشهادة لوجوده كما أعطت نفسها أيضا لانه طالما دامت التواريخ والآثار فى عالم الوجود وتنبئ عن الامم الغابرة لايزال رغما عن المعاندين ينتعش برهان وجوب العبادة

فاذا تحقق لدينا ان التدين وجوبى وما أمكن ان تقوم وتدوم بالاستغناء عنه أمة وقبيلة فى الازمنة الماضية فضلا عن شعب اسرائيل الذى كان كل حياته دينا وعبادة نستنتج من ذلك أمرين أولهما وجود واجب الوجود الذى أوجد بالطبيعة هذا الاحساس والاشعار وثانيهما وجوب العبادة لذاته العلية واذا كانت العبادة واجبة فالصلاة واجبة وهذا هو القياس الذى نقدمه لجناب القراء. بما ان التدين واجب فيقوم بتقديم واجبات

واجبات العبادة للذات الالهية وواجبات العبادة تقوم بالصلوة فالتدين اذا يقوم بالصلوة ومن هنا نستفيد وجوب الصلوة لانه اذا لم يكن دين فليس عبادة واذا لم تكن عبادة فليس صلوة فاذا لم يكن دين فليس صلوة فحقيقة التدين المغروس فى الطبع الانسانى لاتقوم الا بالصلوة أى العبادة لله بخلوص النية وبالروح والحق رغما عن كافة العوائق وهذا الامر يسلم به كل ذى عقل نير فالصلاة اذا بحسب ذلك تكون فرضا واجبا مطلوبا اجراؤه من كل مسيحى متدين قاصد نجاة نفسه من المخاطر الروحيه وراغب خلاص حياته من البوائق الجسديه

والثانى أى البرهان الوضعى هو أشهر من أن يذكر وكانه نار على علم فاذا نظرنا بعين التروى الى كتاب الله العزيز وأطلعنا على تاريخ حوادث الشعب المختار أعنى شعب اسرائيل المصطفى وعدا ذلك الانجيل المقدس وتاريخ مؤمنى الاجيال الاولى المسيحية فلاريب نقتنع كل الاقتناع حتى لايوجد فيما بعد داخلنا أدنى ريب من هذا القبيل نعم قد رأينا حال رجال الله القديسين فى بعض الاحيان انهم يقدمون صلوات وتضرعات خصوصية مناسبة لاحوال الزمان وظروف الاوان أى حينما يتكبدون مشاق البلايا ويتحملون أنواع التجارب الوقتية وسنشرح ذلك فى بحث الصوم انما الذى ينبغى البحث

فيه ما نحن بصدده هو وجوب الصلوة وفروضها وهي خصوصية وعمومية ولنشرح كلاً منهما

(العبادة الخصوصية)

العبادة الخصوصية هي القيام بما يجب على كل انسان أن يؤدي ما فرضته عليه البيعة المقدسة دائماً ويومياً وهو محقق من وجهين أولهما من ناموس الله تعالى وثانيهما من سير رجال الله القديسين الذين قضوا حياتهم على هذه الارض بالعبادة لله والتقوى والقداسة فعن الاول قد قال الناموس الموسوى للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد (تث ٦ : ١٣) والمسيح الاله قد أمر المؤمنين بالصلاة على الدوام بقوله اسهروا اذا وتضرعوا في كل حين (لو ٢١ : ٣٦) وقد قدم لهم مثل (قاضي الظلم والارملة) في أنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يمل (لو ١٨ : ١) ومثل المضيف والحاحه على صديقه لادمان الصلوة (لو ١١ : ٥) وعلمهم كيفية الصلاة بخطابه نحو الافراد. ومتى صليت فلا تكن كالمرائيين فانهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت متى صليت فادخل الى مخدعك وأغلق بابك وصل الى أبيك

الذى

الذى في الخفا فأبوك الذى يرى في الخفا يجازيك علانية (مت ٦ : ٥ و ٦) وأوضح لهم ثمرة الصلوة بمثال الفريسي والعشار (لو ١٨ : ٩-١٤) وبولس الرسول قد حرض المؤمنين أن يكملوا ناموس المسيح بخصوص الصلوة بقوله واظبوا على الصلوة ساهرين فيها بالشكر (كو ٤ : ١) وقوله صلوا بلا انقطاع (١ تس ٥ : ١٧) وقوله عابدين الرب ... مواظبين على الصلوة (رو ١٢ : ١٢) وقوله خذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله مصلين بكل صلوة وطلبة كل وقت في الروح (افس ٦ : ١٧ و ١٨) ومن مثل هذه الشواهد كثير لايحصى

الثاني من سير رجال الله القديسين الذين كانوا عابدين ربهم بالروح والحق وصاروا لنا قدوة ومثالا لان كل ماسبق فكتب كتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجا (رو ١٥ : ٤) ونذكر الاكثر شهرة من العهد القديم والعهد الجديد ممن يستحق الذكر من الاول داود النبي والملك الذى كان متعبدا لله من منذ صباه وقد أخبرنا بصلاته أنه كان يواظب على الصلوة ويصلي مساء وصباحاً وظهراً (مز ٥٥ : ١٧) وسبع

مرات فى النهار أى فى غضون الاربعة والعشرين ساعة كما قال سبع مرات فى النهار سبحتك على أحكام عدلك (مز ١١٩ : ١٦٤) وفى الليل والنهار كما كان يصلى هاتفا يارب اله خلاصى بالنهار والليل صرخت أمامك فلتأتى صلاتى قدامك أمل أذنك الى صراخى (مز ٨٨ : ١ و٢) وبالغداة كما كان يستغيث قائلا لكلماتى أصغ يارب تأمل صراخى استمع لصوت دعائى ياملكى والهى لانى اليك أصلى يارب بالغداة تسمع صوتى بالغداة أوجه صلاتى نحوك وأنتظر (مز ٥ : ١-٣) وفى نصف الليل كما كان يرتل منشدا فى منتصف الليل أقوم لاحمدك على أحكام برك (مز ١١٩ : ٦٢) ودانيال النبى كان يصلى فى النهار ثلثه مرات ويجثو على ركبتيه (دا ٦ : ١٠ و١٣) وحنة النبيه كانت تعبد الله بأصوام وطلبات ليلا ونهارا (لو ٢ : ٣٧) وكرنيليوس الرومانى كان يصلى الى الله كل حين (اع ١٠ : ٢) وبالاختصار ان شعب الله المختار كان يعبد الله بالليل والنهار (اع ٢٦ : ٧) ومن العهد الجديد أن المسيح الذى وضع طريق العبادة الحقيقية قد أخبرنا عنه الانجيل المقدس أنه كان يواظب على الصلوة ومن ذلك لما صرف الجموع صعد الى الجبل منفردا ليصلى (مت

(مت ١٤ : ٢٣) وأما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى (لو ٥ : ١٦) وفيما هو يصلى على انفراد (لو ٩ : ١٨) وصعد الى الجبل ليصلى (لو ٩ : ٢٨) واذ كان يصلى فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضا تلاميذه(لو ١١ : ١) وقد احتذت الرسل والمؤمنون حذوه المقدس فبطرس الرسول كان يصلى فى الساعه السادسة (اع ١٠ : ٩) وبولس الرسول قد أخبرنا برسائله عن صلواته المتواترة وعبادته لله على الدوام بقوله فان الله الذى اعبده بروحى فى انجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع اذكركم متضرعا دائما فى صلواتى (رو١ : ٩) وقوله لتيموثاوس تلميذه انى اشكر الله الذى أعبده من اجدادى بضمير طاهر كما اذكرك بلا انقطاع فى طلباتى ليلا ونهارا (٢تى١ : ٣) وقد اظهر له صفة خادمة الكنيسة الارملة الحقيقية بقوله ولكن التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلا ونهارا (١تى٥ : ٥) والتاريخ الكنائسى لاسيما قصص تاريخ البروتستان قد أخبرنا عن عبادة يعقوب البار اسقف اورشليم الفائق اذ من كثرة عبادته ومواظبته على الطلبات ومداومته على الصلوات المتواترة وركوعه الدائم خشنت ركبتاه

وصلبنا وعارنا كركب الجمال قرن أول وجه ١٤

ومن هنا يلزم ان يجهل القائلون ان النسك أو التقشف دخل فى الكنيسة بدعة من ضمن بدع تلامذة أفلاطون والحال ان الكنيسة من منذ ماشيدتها الرسل الكرام حافظت على العبادة بالنسك والتقشف حتى بولس الرسول يخبرنا عن نسكياته الكثيرة بقوله أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير انا نفسى مرفوضا (١ كو ٩ : ٢٧) فالحصل من جميع ماتقدم ان الصلوة فرض واجب على فرد كل انسان فما شاع بهذه الايام من سفسفة التعاليم الغريبة هو ضلال مبين خارج عن تعليم الطبيعة والكتاب ورجال الله الابرار وفى استطاعتنا ان نؤيد هذا التعليم الالهى من كتب أخصام البيعة المقدسة حتى تتحقق ابناء الكنيسة انهم يخالفون مبادى تعاليمهم فقد ورد من ذلك بكتاب كشف الظلام ما لفظه لايوجد بين واجبات الديانة ما يسلم به جمهور الناس ويستعملونه أكثر من الصلاة لانه ليس شعور الانسان باحتياجه وافتقاره الى خالقه فقط يحركه الى الصلاة للإله الذى يعبده بل فضلا عن ذلك جميع الاديان المعروفة فى العالم صحيحة كانت أم باطلة تعلم تابعيها بكون الصلوة فرضا واجبا لابد منه وجه ٢ .

فاى براهين أقوى من هذه التى قدمناها من ناموس الطبيعة والكتاب

والكتاب العزيز وأنفاس رجال الله القديسين لدحض هذا الضلال الذى انتشر فى بلادنا بان الصلوة غير لازمة سوى فى أوقات حلول التجارب ونزول آفات المصائب ولكنا قد أبنا وأوضحنا بان الصلوة عبادة والعبادة لازمة على الدوام فالصلوة لازمة على الدوام وذلك ببراهين حقيقية غير مردودة وهذا هو أهم موضوع يتوقف عليه مدار صحة الدين وحقيقته اذ لو لم تكن الصلوة واجبة والعبادة واجبة. لما كان الدين صحيحا ولكنه صحيح فالصلوة واجبة والعبادة واجبة ورب معترض يعترض علينا قائلا اذا كان الانسان خاليا من التجارب والاخطار والمصائب والبلايا والمعاطب فما الحاجة الداعية الى تقديم الصلوة أليس ذلك من الفضول والنوافل التى لم تعد علينا بالفائدة ولا طائل تحتها وبأى نوع تكون واجبة هل الله يفتقر الى صلاتنا نحن معشر البشريين الضعفاء فعلى ذلك نجيب قد أبنا سابقا لزوم الصلوة ووجوبها على الدوام واذا فرضنا ان الانسان يخلو فى بعض الاحيان من كوارث التجارب الجسدية فهل يخلص من المصائب الغير هيولانية أى الحروب الروحية فان الشيطان عدو الله للنفس لايسالمها الا ان استعبدها وخضعت لوساوسه الخيالية فتراه دائما يترصد وينتظر ساعة تكون النفس فيها غفلانة ليفترزها ويلقى النفس فى هوة الوهق واليأس والقلق لان جل مقصوده هلاكها

و بعدها عن خالقها . فاذا بالحقيقة لذلك يقتضى ادمان الصلوة ومواظبتها ومن ثم نسمع الرسول بطرس محرضا ايانا قائلا اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كاسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو فقاوموه (ابط ٥ : ٨) ولنفرض اننا نخلو من كلا الامرين (مع ان الثانى من الامر الممتنع . لان المؤمن المسيحى جندى للمسيح وعلى الدوام تراه فى معركة القتال واقتحام الابطال كما نقرئ أقوال الرسول بولس بهذا الخصوص انظر (افس ٦ : ١٠-١٩) أما يجب علينا ان نقدم صلوات وتضرعات وابتهالات لبارئنا العزيز وفادينا الوحيد كى يقينا من شر المصائب ولا يدع التجارب تتخطى الينا وتسطو علينا بل أى نعم فانه أوصانا قائلا . أسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة (مت ٢٦ : ٤١) فاذا بمقتضى أمر السيد يجب ان لا نترك الصلوة سواء كنا فى تجربة أو غير ذلك

و وجوب الصلوة ليس بمعنى كون الله جل وعلا يفتقر اليها بل نحن الذين نحتاجها كى بواسطتها يمكننا ان نثبت على الطهارة والقداسة وننمو فى الفضيلة والاعمال الصالحة لان قيام النفس وحياتها وانتعاشها ليست الا بواسطة الصلوة كى تقتنى مناسبة ذات الذى خلقها أى الطهارة والقداسة وذلك لا يتأتى الا باقتنائها الدالة . والدالة اعتياديا لا تكون الا

بالمحادثة

بالمحادثة أى الصلوة حيث كل شئ نسأله بالصلوة فيكون لنا (يو ١٤ : ١٣)

ورب قائل يقول ان الله بما انه معدن العلم ومعين المعرفة وكاشف الحوادث قبل حلولها وعارف المكتومات والخفايا ومطلع على كافة أعمال يديه فبالضرورة يعلم حاجة كل منا وحيث من طبيعته اسداء الرحمة واعطاء النعمة ومنح كافة الهبات والعطايا والصلات دون مقابل ومجانا فلا يقتضى لجوده ان يوقف ارسال عطاياه على مسألتنا وطلبتنا . نعم أجيب صحيح ذلك ولكن هل ينتج منه ان نكون كالحيوانات البكم والعادمة النطق واذا كان ذلك فلماذا أعطانا الله هذا النطق ولما ذا لم يخلقنا كالحيوانات الفاقدة العلم والعقل والنطق أليس الا كى نسبحه ونمجده ونطلب منه احتياجنا فيعطينا ونشكره . واذا ما قمنا بتأدية الشكر والثنا لجلاله الاسمى عوض هباته الغزيرة وعطاياه الكثيرة ألسنا نكون ناكرين جميله وكافرين بنعمته حيث لم نقابلها بالشكر الجزيل والثناء الجميل ولكن قد اقتضت الحكمة الربانية ان لا تعطى لنا احتياجاتنا الا بواسطة صلواتنا المتواترة كى نعلم قيمة عطاياه وقدر هباته الالهية وحينئذ نسدى لديه سحائب المنة وأصوات الشكر والثناء لانه لو أعطانا هباته بدون عنا ودون تعب لكنا نستخف بها ولا نكون عندنا عظيمة

الاهمية وعزيزة بهذا المقدار . ومن أجل ذلك أمرنا ان نسأل لكيما نعطى ونطلب لكيما نجد ونقرع لكيما يفتح لنا لان كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له (مت ٧ : ٧و٨) فالصلوة لازمة على كل حال

واذ تحققنا ان الصلوة فرض واجب لابد منه ولا يستغنى عنه وهذا الفرض محقق بحسب الناموس الطبيعي والوضعي ومفروض على كل انسان مسيحي منتسب للمسيح بقي علينا فى هذا البحث ان نبين شروط هذا الفرض كيما يأخذ مفعوله و يعود علينا بالنتيجة الصالحة الابدية والوقتية وشروطه محصورة بما يأتى أول ذلك

مادة الصلاة

الصلوة هى محادثة ومخاطبة المخلوق مع الخالق والانسان مع الاله باقوال الهية مناسبة لذاته العلية وتلك الاقوال منقسمة لنوعين بحسب صدورها من المصلى وضعية أى معينة من الكنيسة المقدسة الارثوذكسية وتأليفية أى التى يرتجلها الانسان فى ختام صلواته وكلتاهما واجبتين فالاولى المحددة والمعين تلاوتها من الكنيسة هى مزامير داود النبى المملوءة أقوالا ابتهالية والمفعمة روحا قدسا فانها تنعش النفس الميتة وترطب العقل الناشف وتلين الافكار القاسية وتسقيها من

بحر

بحر التأمل بقداسة المولى وتصعدها بالرياضة الروحية أى التروى والتأمل بعظمة الله وحضرته القدوسة

والكنيسة لها الحق بوضعها مزامير داود فرضا وقانونا لتتلوها افراد المؤمنين لانها تشتمل على أنواع الصلوة كلها وفصولها وتعرب عن حال كل انسان الدينية والمدنية فكأن داود النبى كان بمقام كل واحد من البشريين اذ نجد كل مزمور من مزاميره ان لم يناسبنا على حالنا الجسدية فيناسبنا على مقتضى حالنا الروحية فينفعنا كل النفع اذا تلوناه مقدمينه صلوة لعزة البارى وجلاله الالهى الذى أمرنا ان نصلى على فم رسوله بكل صلوة وطلبة (افس ٦ : ١٨) ولاجل ذلك قد قال الكلوينيون بكتاب القواعد السنية فى تفسير الاسفار الالهية موافقين رأى الكنيسة هذا كل الموافقة واذ كانت القلوب متشابهة كانت هذه المزامير صورة الحيوة الدينية فى كل العصور فنشائد داود وأصحابه اساف وابنا قورح هى حقا شعر الاختبار الدينى واذ ذلك لايمكن ان تعتق أو تشيخ فانها باقية اليوم فى جدتها كما كانت يوم كتبت فان الله اعطاها لكنيسته كنزا ثمينا لاجل خدمة الغنا فى بيت الرب وفى العيال وفى المخادع فصل ١٣ وجه ١٠١ ونفس هذا الاقرار وجدناه

مسطرا فى كتاب كشف الظلام فى الصلوة والصيام حيث قال ان الصلوة المكتتبة اذا استعملت توجه العقل والقلب فى أقوم الطرق وتساعد على طرد الافكار الغريبة وتمنع التكرير الغير مفيد (يعنى الارتجالى) واستعمالها مناسب أيضا بين العيال وفى ظروف كثيرة حيث لايوجد من أن يقدم صلوة بديهية ولاجل ذلك قد وجد ويوجد الآن من الاتقياء أناس كثيرون يجدون فوائد جسيمة من الصلوة المكتوبة فيفضلونها على غيرها (وجه ٥٢ و٥٣) فنعم الشهادة التى تؤيد واجب استعمال الصلوة باقوال أنبياء الله الملهمة من الروح الكلى قدسه وبالحقيقة ان الذين ينكرون ممارستها بهذه الكيفية هم اناس جهلة قد غطى عيونهم روح العجب حيث لايعلمون ان الاقوال التى نطقت بها أنفاس أنبياء الله ورسله الكرام هى عظيمة التأثير ولها مفعول عجيب اذ تأخذ بمجامع قلوب المسيحيين العابدين وتسبى عقولهم الى الرياضة مع الله والدالة الكبرى ومن هذا القبيل أى الصلوات المكتوبة المفيدة التى تربط قلب المؤمن بسلاسل المحبة الالهية هى صلوات الاباء الناسكين الذين عاشوا مدة حياتهم وقضوها بمواظبة الصلوات وادمان التضرعات لله كالذهبى الفم وغريغوريوس التاولوغوس والقديس افرام والاب اسحق والشيخ الروحانى وملرى يعقوب

السروجى

السروجى وغيرهم انما هذه الصلوات ليست ضرورية وعظيمة الاهمية كتلك أى المزامير التى سنتها البيعة ولهذا لايستعملها على الغالب سوى الرهبان المنقطعون لهذا الامر علاوة على المزامير المفروضة وأما الصلوات التى يصلونها ارتجالا الاناس البشريون الخالون من روح التقى والقداسة فهى بعكس تلك لانها لاتؤثر بقلب المسيحى فضلا عن كونها لاتحرك ضميره ولا تنعش فيه روح تقوى الله وخوفه بما انها ليست صادرة عن حرارة دينية ورغبة حادة الهية فالحاصل ان فرض تلاوة المزامير الداودية على المسيحى هو الهى وموافق للذوق واحساسات الطبيعة كما انه موافق للنص الرسولى وليس بعجب ان يكون فرضا رسوليا موضوعا من الرسل أنفسهم فان القديس بولس يخاطب المؤمنين بهذه الصفة والكيفية. مكلمين بعضكم بعضا بمزامير وتسابيح وأغانى روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب (افس ٥ : ١٩) وكو ٣ : ١٦) وهذا الفرض قد تجده أيها المؤمن عند كافة الكنائس الشرقية والغربية اذ كل كنيسة تلهج به وتتلوه بمقام طلبات واستغاثات وابتهالات الهية ماخلا أصحاب البدع الذين احلوا حكمة أقوالهم محل أقوال أنبياء الله الذين نطقوا باسم الرب ونبذوا فرض تلاوة المزامير تحت زعمهم

البلبل ان المزامير لاتناسب أحوال كافة الظروف والاوقات وقد بنوا زعمهم هذا على مبادى تعليمهم للصلوة بانه لايصح استعمالها بكافة الازمنة ولاتعجب أيها القارئ النجيب اذا رأيت تعاليمهم الحديثة تخالف مبادى تعاليم كتبهم القديمة فانهم يسمحون لتبعهم بان يعتقدوا كيفما يشاؤون وبحسبما تسوغ لهم أنفسهم بحسب الزمان والمكان وهذا الامر تؤيده كتبهم التاريخية فقد ورد عنهم فى كتاب تاريخ موسهيم ما لفظه ان الكنيسة التى ترغب فى أن تسمى المصلحة أو الكنيسة الانجيلية المصلحة وكان يسميها مقاوموها سابقا الكنيسة الزونكلية والكلفينية تكاد تختلف عن جميع من سواها لان جميع الكنائس الاخرى ترتبط بنظام واحد من التعاليم والتهذيب وليست كذلك الكنائس المصلحة فانها لاتعتقد اعتقادا واحدا لان عندها قوانين ايمان مختلفة عن بعضها كثيرا ولا تمارس طرقا وطقوسا واحدة للعبادة ولم تكن فى كل مكان على ترتيب واحد وسياسة واحدة ومن المعلوم لاتطلب هذه الكنيسة من قسوسها ان يعتقدوا ويعلموا شيئا واحدا بل تسمح بان يختلف فى شرح وتفسير قضايا تعليمية كثيرة ليست بقليلة الاهمية قرن ١٦ فصل ٢ وهنا نستفتى القارئ الاريب اذا كان على زعم البروتستان ليست الحقيقة الالهية فى الكنيسة الغربية لكونها تختلف عن باقى

الكنائس

الكنائس بتعاليمها وليست فى الكنيسة الشرقية ككنيسة الاسكندرية والانطاكية أى القبطية والرومية والسريانية والارمنية كونها تخالف تعاليم الكنيسة الغربية وبخالف بعضها البعض الاخر فى بعض اعتقادات أوطقوس كنائسية ولكن اذا ما كانت الحقيقة موجودة فى هذه ولا فى تلك فهل تسمح عدالة القارئ ان يعترف بوجودها فى كنيسة المصلحين الذين حالتهم تلك الحالة التى حكتها التواريخ وكتب الاعتقادات والتفاسير حيث لايوجد فرد منهم يطابق الاخر باعتقاده فضلا عن الاختلاف العقائدى فى الهيئات الاجتماعية الدينية كما نظرنا شهادة موسهيم ولا نزال ننظر على مرآى العين فى بلادنا أيضا حيث لاتوجد فرقة توافق الاخرى بتعاليمها جلت الحقيقة وتنزهت وحاشاها ان تكون بين افراد كهذه حالهم

والصلوة الارتجالية هى التى تكون ختاما للصلوة وهى على الغالب تكون موافقة لاحوال الزمان وليست لازمة بهذا المقدار كى يلتزم بها الجميع كحد وقانون لان كثيرين من الاناس لايستطيعون أن ينطقوا ببنت شفة ارتجاليا كالعوام والصناع وأصحاب المهن والحرف والمكارات والفلاحين ان لم أقل أغلب

لفحول العلماء الذين استقوا من معين المدارس وارتقوا الى درجة سامية من المعرفة فانه يتعسر عليهم أن يرتلوا صلوة ان لم يتداخلها كل تكرار ممل وغير مفيد ولهذا السبب عينه قد علم يوحنا تلاميذه صلوة يصلون بها (لو ١١ : ١) والمسيح علم رسله الصلوة الربانيه لما طلبوا منه ذلك بقوله متى صليتم فقولوا أبانا الذى فى السموات (لو ١١ : ٢) وعلى ذلك الصلوة المكتنبة تكون قاعدة ربانيه أوصى بها المسيح نفسه رسله المكرمين وماخالف هذا التعليم فهو تعليم مخيلة بدون ريب

ومن هذا القبيل الصلوة المعنوية وهى عين الصلوة المكتنبة مع جمع الحواس العقلية من التشتت واتجاهها نحو عظمة البارى وجلاله الرهيب حيث اذا كان العقل طائشا والافكار متشاغلة بأمور أخرى والادراك سارحة بالتأمل فى أحوال لاتعلق لها ولاارتباط بموضوع الصلوة تكون حال المصلى أشبه برجل دخل يستعطف الملك عن أمر فلما صار فى ساحته وامامه نسى ماأوجب دخوله وحينذاك أخذ يتلعثم با لكلام حتى ضاق صدر الملك وسئمت منه النفس فاخرجه صفر الايدى حيث لم يطلب منه ماألزمه الدخول هكذا الاله لايسمع ولا يستجيب طلبة الانسان الا اذا كان عالما ماذا يطلب وفاهما لماذا

يصلى والا فتغدو صلاته كالرقم على وجه المياه وكقبض الرياح المارة فالصلوة العقلية هى قسم ثانوى جوهرى يجب الالتفات اليه بكل الاحتراس والهمة والنشاط والذين لم يبلغوا بعد حدود الصلوة الكاملة والرياضة العقلية وصفاوة الافكار ونقاوة الادراك أى الذين باشروا ان يتروضوا بالصلوة جديدا واتخذوا بمبادئ العبادة مثل هؤلاء يقتضى أن تكون صلاتهم مسموعة الصوت ومميزة الالفاظ لانه عادة مطردة ان السمع الحسى يؤدى الى العقلى فاذا سلك العابدون هذه الطريقة أمكنهم ان يتأهبوا شيئا فشيئا ويستعدوا الى الصلوة الكاملة الروحية والتأمل بجلالة المعبود وسمو مقامه العالى

توجيه النية فى الصلوة

لاأحد ينكر ان قبول الصلوة متوقف على أمرين أولهما ان تكون الصلوة مبنية على ماب رضا الخالق ومسرته أى طهارة النفس وقداسة الجسد ونقاوة العقل ورسوخ وثبات مخافة وتقوى الله فى قلب المصلى حتى يحفظ بذلك من كافة أنواع الخطيئة لان الخطيئة لاتتسلط على من كان سابحا فى بحر خوف الله وتقواه وورعه اذ يكون كمن داخل حصن ومسورا عليه بسور منيع

لايفتح لانه مكتوب ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم (مز ٣٤ : ٧) وتكون أيضا مبنية على طلب امتداد وانتشار ملك المسيح على الارض وطلب ملكوت السموات السعيد والانخراط بقطيع وصف أبناء اليمين والشركة بالنصيب المتيد والحظ المجيد اما اذا كان القصد بالصلوة لاجل الحصول على آمال المصلى الدنيوية وملذات العالم الوقتية بوجه الحلال أو الحرام كيفما اتفق أو الحصول على المراتب العالية والوظائف العالمية فتعود عليه بالخيبة وأعظم مصيبة. أجل قد أوصانا المسيح ان نوجه صلاتنا أحيانا من أجل الامور المختصة بلزوم قيام الجسد وضرورة المعيشة الوقتية التى نحتاجها ولكن ماأوصانا ان نجعل ذلك تحت الاهمية الكبرى بل بعكس ذلك قد حذرنا كل الحذر قائلا لاتكرروا الكلام باطلا كالامم فانهم يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبهوا بهم لان أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل ان تسألوه (مت ٦ : ٧) فان هذه كلها تطلبها الامم لان أباكم السماوى يعلم انكم تحتاجون الى هذه كلها لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم (مت ٦ : ٣٣)

وهنا ينبغى أن نلاحظ أن البروتستان وكل من لايعرف معنى مواضيع كتاب الله العزيز قد يتخذون الآية المتقدم ذكرها

ذكرها حجة على الذين يدمنون الصلوة ويواظبون على الطلبة ويكررونها فمن الفضول أن نجيب من يفهم هذا الفهم القاصر وكان الاجدر أن لانعتنى بالرد عليه لان ليس لكل سؤال جواب ولا بعكس ولكنا نوجه مثل هذا الى التأمل بعبارة المضيف وصديقه التى قدمها المسيح نموذجا ومثالا لادمان الصلوة وتكرارها والعائد الحميد منها اذ قال وان كان لايقوم ويعطيه لكونه صديقه فانه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر مايحتاج وأنا أقول لكم اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم (لو ١١ : ٨ و ٩) وعبارة الارملة وقاضى الظلم التى أوردها بهذا الخصوص عينه (لو ١٨ : ١) وقد اختتم المثال بقوله أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم أقول لكم انه ينصفهم سريعا (: ٧ و ٨) وصلاته ليلة الالام اذ أخبر عنه الانجيل المقدس أنه صلى مكررا ذلك الكلام بعينه ثلاث مرات (مت ٢٦ : ٤٤) وثانيهما هذا مايجب على المصلى من نحو البارى وأما من نحو ذاته فيقتضى أن تكون الصلوة مرفوقة بالايمان والمحبة والرجا فلكى تكون صلاتنا مقبولة ينبغى أن نقدم صحبتها الايمان الغير المتزعزع أى نؤمن أننا ننال مانطلب لان المسيح

يسوع أمرنا بذلك قائلا كل ماتطلبونه حين ماتصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم (مر ١١ : ٢٤) وقال الرسول ان كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له ولكن ليطلب بايمان غير مرتاب البتة لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن ذلك الانسان أنه ينال شيأ من عند الرب (يع ١ : ٥-٧) ولكيما تكون مقبولة أيضا يقتضى أن تكون بمحبة حارة لله وللقريب فلله أن المحبة هى التى تحرك أميال وعواطف الانسان لتمجيد خالقه وتسبيحه وتعظيمه وتربط الافكار واحساسات القلب بالاشتياق اليه والانشغاف بلذة الهذيذ بالصلوة والعبادة لينعطف برضاه ومحبته للمصلى وحينئذ يحل الله بروحه فى قلب المصلى ويكون الاثنان واحدا . ونحو القريب يجب أن نسامح للمذنبين الينا حتى ينظر البارى فعلنا مع أخوتنا ويعاملنا مثله أى يسامح غلطاتنا ويتجاوز عن هفواتنا الغزيرة وأن لاتكون صلاتنا قاصرة على استمداد العائد علينا وطلب الفائدة الينابل الى كافة اخوتنا المسيحيين البعيدين والقريبين أما للخاطئين فن أجل توبتهم والضالين من أجل رجوعهم والتائبين من أجل ثباتهم ونموهم بالفضيلة والاعمال الصالحة والمتضايقين بكافة أنواع الضيقات من أجل الفرج عنهم ونجاتهم من كل مصيبة

ولكيما

ولكيما تكون مقبولة صلاتنا أيضا يجب أن تكون صادرة عن قلب مفعم من الرجاء الثابت وخارجة من ضمير عامر من الثقة المكينة والامل الوطيد حتى اذا ماأجيبت صلاتنا عاجلا وسمعت سريعا لانمل ولا نفشل بل نواظب على الطلبات وندمن التضرعات ونداوم الاستغاثات ونرادف الدعوات وندعو الله ليلا ونهارا لانه اذا ما أجاب البارى طلبنا ولبى دعوانا سريعا لاينتج من ذلك أنه غير عالم بها وغير مطلع عليها أو غير مكترث بنا وغير مهتم بحاجاتنا بل له قصد الهى بذلك لانه ربما لو أعطانا مبتغانا ونولنا منانا بسهولة و بدون تعب لهانت عطيته علينا وأضحت نعمته عديمة الاهميه وأصبحت هبته قليلة الاعتناء وغدت آلائه فاقدة الاعتبار وغير عزيزة ويمكن أن نقابل جنابه السامى وجوده العالى بانكار الجميل والكفر بفضله الالهى ونعمته المعطاة لنا فنخسر خسارة لانستطيع أن نعوضها دفعة أخرى فن أجل هذا ينبغى أن نلازم الصلوة ونتعب بتقديمها ونتعلم من صلوة قابل الصلوات حين ما كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض (لو ٢٢ : ٤٤) كيف لا وقد أمرنا وأوصانا بذلك بعبارة صريحة كى لانقطع رجانا ولا نخيب آمالنا بعدم حصولنا

على مرغوبنا ومرادنا سريعا (لو ١١ : ٨ و ٩ و ١٨ : ٧ و ٨)

وقد يكون عدم قبول صلواتنا كونها لاتعود علينا بالفائدة والربح الصالح فلذلك لايجب ان تصغر أنفسنا وتحزن قلوبنا لان الله أعلم منا بصالحنا والامر الذى ينتج لنا منه ذلك فاذا رأى البارى ان قبول صلاتنا واجابة طلباتنا مما يعود علينا بالفساد والوبال والشرور والاهوال لايلتفت اليها وعدم التفاته من باب الحق والصواب لانه تبارك وتعالى وتقدست اسماؤه رؤوف بخلقته ورحوم بصنعة يده ولايشاء هلاك أحد بل يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (اتى ٢ : ٤)

أو لربما تلك الصلوة أوتلك الطلبة تنافى قداسة ذاته وليست على مقتضى ارادته وحسب مسرته وكلا الامرين ضارين بنا وغيرنا فعين لصالحنا وحسبك ماورد فى كتاب الله العزيز من مثل ذلك حيث منع البارى اجابة صلوات انبياء وقديسين عظام ومنهم موسى كليم الرب ومقدام الانبياء باسرهم فانه استعطف جلال البارى وعظمته بالصلوة من أجل دخوله الى أرض الميعاد وكرر تلك الصلوة دفعات كثيرة فلم يقبلها الله (تث ٣ : ٢٣ - ٢٦)

وبولس الرسول أيضا قد استغاث الى قداسة البارى وقدرته ثلث مرات لكى ينجو من المنخس الذى أصيب به جسده فلم يستجب له الله (٢ كو ١٢ : ٨ و ٩) وسبب عدم قبول واجابة طلبهما ربما لو قبل طلب موسى ودخل الى أرض الميعاد لكان الاسرائيليون يألهونه ويعبدونه و يتركون وينبذون عنهم عبادة الاله الحقيق وهذا ينافى قداسة الله وسمو كماله وعظمة جلاله وبولس الرسول ربما أيضا لواستجيبت دعوته وقبلت طلبته لكان يسقط فى هوة الكبرياء وعمق الافتخار وشر العظمة فكان ذلك يعود عليه بالشر والوبال لابالخير والكمال وأنت أيها العابد الحقيق أحذر ان تطلب من قداسة مولاك شيئا ينافى كماله ويخالف عظمته أو يعود عليك بالشر لا بالخير

أنواع الصلوة

الصلوة محصورة فى ثلثة أنواع وهى التمجيد أو التسبيح أو التقديس والتشكر أو الحمد أو الثناء أو الاعتراف والطلب أو الدعاء أو الاستغاثة وكل عابد بالروح والحق لابد ان تشتمل صلاته على هذه الانواع الثلثة ومن هنا ينتج لنا لزوم الصلوة بكل الاوقات وأما من اقتصر بصلاته على نوع واحد كالطلب فقد غلط كل الغلط لان كلا منها لازم وتضطر ان تأديه بنوع

واجب حيث لانستطيع ان نستغنى عنه أنفسنا مطلقا ومن ذلك نستدل على وجوب ولزوم تلاوة المزامير أى الصلوات الملهم بها من الروح القدس لانها تشتمل على هذه الانواع جميعا كما يبان مما يأتى وذلك اذا شخصنا بعين العقل الى أوقيانس عظمة الله وسبحت أفكارنا فى محيط قداسة ذاته وقدرته الغير متناهية وغاصت أدراكنا بعمق تأمل عجائبه الباهرة ومعجزاته الظاهرة واذا تأملنا الى مخلوقاته البديعة ومصنوعاته السامية الرفيعة واذا ارتفعنا بعقلنا وامعنا النظر بصفوف الغير متجسدين ورتب وأجواق الغير مرئيين الملائكة المقربين خدام العظمة فنندهل كل الاندهال ونتعجب كل العجب ونأخذ ممجدين ومعظمين ومسبحين بالقول . هلموا ياء سجدوا الله فى جميع قديسيه الخ (مز ١٥٠) واذا ألقينا الطرف وسرحنا النظر باعماله المحسوسة السماء المكللة بالانوار والمتوجة بالجمال والساطعة الجلال والارض المشتملة على ضروب من الاسرار نأخذ مجدلين أصوات التعظيم للخالق الحكيم مع النبى . ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت (مز ١٠٤ : ٢٤) واذا تأملنا بجود البارى وفضله الغير متناهى حيث أوجدنا من العدم وجعلنا بهذه الهيئة الظريفة والصورة الشريفة وأقرن بذاتنا النور الغير محسوس النفس العاقلة الناطقة التى بواسطتها ارتفعنا من

حضيض

حضيض مقام الحيوانات وصعدنا الى علو ذروة واسمى درجة الملائكة الروحانيين فكيف لانحمد الرب ونشكره على هذا الاحسان قائلين . نحمدك من أجل انا قد امتزجنا عجبا عجيبة هى أعمالك ونفسنا تعرف ذلك يقينا (مز ١٣٩ : ١٤) كيف واذا تأملنا بواسع رحمته وفسيح جوده ونعمته حيث اننا طالما أخطأنا بحق قداسته وأثمنا اذ ارتكبنا القبائح والمعاصى امام حضرته وأغضبنا جنابه الالهى فهو مع ذلك لايزال يتأنى علينا ويرفق بنا ويسدى الينا سحائب غفرانه وغيث امتنانه وطل حنانه ووفور آلائه بالاخص النعمة التى تفوق كل نعمة دائمة التى لاتحد ولاتقاس والهبة التى لاتثمن ولاتقع تحت الحصر والاحصاء قيمتها ألا وهى الذات الكريمة ذات المسيح يسوع التى نفحنا وحبانا بها الله الاب وبذلها كفارة عن خطايانا ودون معاصينا القديمة الجدية والحديثة الشخصية التى تلك لاتقدم ولاتشيخ مفاعيلها مهما طال الزمان لانها لاتزال حية وتنعش من يتقدم اليها بالايمان لانه أوعد بفمه الكريم قائلا من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحيوة الابدية وأنا أقيمه فى اليوم الاخير (يو ٦ : ٥٤) وطالما نحن موجودون على هذه الارض فانه يهتم بنا ويعتنى كل الاعتناء اذ ينزل لنا الامطار فى احيانها ويأمر الارض ان تنبت لنا الاشجار وتربى الاثمار وتهيئ

الاغـــذية فى أوانها كأب رحوم نحو ابنائه وكأم حنـونة نحو أولادها ويحفظنا مـن الشرور ويقينا مـن نكبات الازمان والدهور ويهدينا الى العـمل المبرور والفعل المشكور نعم من ذا يستطيع أن يستغنى عن اسداء الشكر ورفع شعائر الثناء وارسال سحائب الحمد والمنة لهذه الذات الواهبة لنا كل هذه الهبات بل كل منا ينبغى ان يشكر الرب فانه صالح لان الى الابد رحمته (مز ١١٨ : ١) ويضطر ان يلهج لسانه وقلبه قائلا أشكرك لانك استجبت لى وصرت لى خلاصا (: ٢١) أحمد الرب بكل قلبى فى مجلس المستقيمين وجماعتهم عظيمة هى اعمال الرب مطلوبة لكل المسرورين بها (مز ١١١ : ١ و ٢) والطلب يشتمل على ثلاثة أمـور أولا يجب علينا ان نطلب من مراحم المولى كى ينعم علينا ويجود بالقوت الضرورى وينجينا من أنواع التجارب وضروب البلايا والمعاطب الزمنيـة ويمنح السلام للانام وينعم بالهـدو والامان والراحـة والاطمئنان للملوك والسلاطين حتى نحظى بالعيشة الهادية والراحة والسلامة ونفوز بحيوة خاليـة مـن كل حزن واضـطراب وهـذا الطلب لانستطيع ولا نقدر ان نستغنى عنه وقتاما ومن أجله أوصانا المسيح قائلا صلوا لئلا تدخلوا فى تجربة (مت ٢٦ : ٤١) ثانيا يقتضى ان نطلب من جوده وكرم قداسته وطهارة ذاته ان

ان يهبنا طهارة فى أنفسنا وعفـة فى أبداننا ونقاوة فى أفكارنا وقداسـة فى عقولنا ويمنحنا الثبـات على الايمـان القويم الرأى ويرقينا الى درجة العبادة الحقيقية ويغرس فى قلوبنا محبته الكاملة الالهية ويساعدنا على الاعمال الصالحة المرضية ويترك أوزارنا ويصفح عن زلاتنا ويسامح جهالاتنا ويعفو عن هفواتنا ويتجاوز عن غلطاتنا فمن ذا لا يفتقر الى هذا الامر كل الافتقار نعم فى كل وقت وكل حـين نفسـنا تشتهـى وعقلنا يتوق وأفكارنا تميـل وقلبنا ينعطف وضميرنا يصـبو وكل حواسنا ترغب ان تهـذى وتلهج بصلوة ابن يسى طهرنى بالزوفا فاطهر أغسلنى فابيض أكثر من الثلج اسمعنى سرورا وفرحا فتبتهج عظام سحقتها استر وجهك من خطاياى وامح كل آثامى قلبا نقيـا أخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدد فى داخلى لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى رد لى بهجة خلاصك وبروح منتدبة أعضدنى فاعلم الاثمة طرقك والخطاة اليك يرجعون (مز ٥١ : ٧ - ١٣) ثالثا وأخيرا نطلب كيما تمتد ملك المسيح فى المسكونة ويكون الرب ملكا على كافة بنى البشر الاخيار والاشرار الطائعين والعاصين الكافرين والمؤمنين ويلقى الوفق والسلم وروح الاتحاد ما بين الكنائس أجمع وينزع الخلاف ويرفع روح الانشقاق من بين بنيها ويربطهم بسـلاسل المحبة الحقيقية ويعقدهم بعرى المودة

القلية وإلا يحرمهم من ميراث ابناء الله الصالحين بل يقيمهم عن جانبه اليمين يوم القضاء والدين وهذا عين قول الرب لنا كل الحين هاتفة على الدوام ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الارض (مت ٦ : ١٠)

اوقات الصلوة

قد استمدت البيعة المقدسة الارثوذكسية من رؤسائها ... عن السيد المسيح الاثنى عشر الاطهار تقليد قانون الاوقات التى ينبغى ان ترفع فيها اصواتنا الصلوة وتقدم العبادة الواجبة على ان الرسل لم يضعوا ذلك القانون و يعلموا ذلك التقليد الا بإرشاد الروح القدس واقتفاء أثر أنبياء العهد القديم الذين كانوا يصلون فى اليوم الواحد مرارا و بعضهم سبع دفعات كما رأيت فى وجه ١٣ و١٤ و١٥ فبناء على ذلك قررت الرسل ان يصلى المؤمنون سبع مرات كما قالوا فى الكتاب المعروف بقانون الرسل ما معناه ان يصلى المؤمنون باكرا وبالساعة الثالثة من النهار والسادسة والتاسعة والحادية عشر والغروب ونصف الليل . على ان كتاب أعمال الرسل يخبرنا عنهم انهم كانوا يقدمون الصلوة فرضا فى هذه الاوقات لا غيرها فكانوا يصلون فى الساعة الثالثة (اع ٢ : ١٥) وبطرس الرسول كان يصلى فى الساعة السادسة (١٠ : ٩) وهو ويوحنا

ويوحنا صعدا الى الهيكل فى ساعة الصلوة التاسعة (٣ : ١) وفى نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان و يسبحان الله (١٦ : ٢٥) على أننا لانسلم أن الرسل كانوا يرقدون غروبا بدون أن يقدموا صلوة . كما اننا لانسلم أنهم كانوا يستيقظون بدون أن يرفعوا طلبة

هذا وقد يسلم لنا البروتستان وجوب تكرار الصلوة فى النهار عينه فقد ورد فى كتاب كشف الظلام مالفظه . لنعين لها (الصلوة) أوقاتا مرتبة خصوصية كما نعين أوقات أشغالنا وأن لانسمح لعمل أو لغفلة أو لانسان أن يمنعنا عن هذه الممارسة بظروفها التامة . . ان الانسان لايمكن أن تكون نفسه ناجحة مالم يعين أوقاتا خصوصية لاجل الصلوة السرية وليكن ذلك أقل مايكون مرة أو مرتين فى النهار واذا صلى ثلاث مرات فهى أنفع له (وجه ٤٠)

الصلوة العمومية

هى العبادة الجمهورية التى تكون باجتماع أفراد المؤمنين وتقديمهم الصلوة بالاشتراك بواسطة كاهن أو أكثر . وعلى الغالب تكون مرفوقة بتقديم الذبيحة السرية الاغخارستيا اى ذبيحة جسد المسيح الاقدس ودمه الطاهر . وهذه القاعده

تأسست بأيدى الرسل أنفسهم كما يخبرنا كتاب الاعمال . أنهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلوة والطلبة (اع ١ : ١٤) وكانوا يقدمون صلوات من أجل بعض الحوادث . فانه لما قبض على بطرس الرسول وأودع السجن مغلولا بالسلاسل كان يصير من الكنيسة أى جماعة المومنين صلوة بلجاجة من أجله (اع ١٢ : ٥) . وحيث لما امتدت الديانة المسيحية كانت تسرى وتنتشر العبادة الجمهورية ومن أجل ذلك شيدت البيع والكنائس لاجتماع المومنين فيها انظر (١ كو ١١ : ١٧ و ٢٢) ومن ثم رسم للكنائس رؤساء ومدبرين وخدام . أى أساقفة وقسوس وشمامسة (اع ٢٠ : ٢٨ الى ٣ : ١ و ٨ و ١٥ تى ١ : ٥) ورسم القديس بولس فرضا على الكنائس فى الاتكون الصلوة قاصرة على المومنين بل ومن أجل جميع الناس حيث قال . فأطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لاجل جميع الناس لاجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حيوة مطمئنة هادية فى كل تقوى ووقار (اتى ٢ : ١ و ٢)

وأما وقت اجتماعهم فكان باكرا جدا كما يظهر لنا ذلك من التاريخ الكنائسى فان بلينى حاكم بيثينيا

احدى

(احدى ولايات الرومانيين) قد كتب رسالة الى الملك تراجانوس يخبره فيها عن حال المسيحيين وكيفية سلوكهم وله لم أر فى المسيحين ما يستوجب القتل ولم أجد فيهم شيئا رديا ومخالفا لشريعة المملكة سوا أنهم يستيقظون باكرا ويرتلون ترنيمة للمسيح كاله (مختصر التاريخ للبروتستان قرن أول وجه ٣٣)

واجتماعهم كان يجرى فيه ثلاثة أمور أحدها كان المؤمنون يقدمون العبادة لله أى الصلوة بكامل فروضها و يتلون النصوص الالهية الثانى كانوا يقدمون ذبيحة الافخارستيا أى جسد ودم المسيح الاقدسين مرفوقة بالتراتيل الالهية والنشائد الروحية الثالث والاخير كانوا يمدحون و يطوبون الشهداء والقديسين و يصنعون لهم تذكارات خصوصية وذلك مؤيد ببرهان جلى فان التاريخ يخبرنا عنه بكل صراحة وهاك ما ورد فى كتاب القواعد السنية فى تفسير الاسفار الالهية تأليف البروتستان وهو بينما كان أهل أزمير يعيدون لاسقفهم الشهيد بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول ادعى عليهم اليهود بالعبادة الوثنية فاجابهم أهل أزمير برسالة مفندين هذا الادعاء ما لفظه ان هذا من الامور المستحيلة لان المسيح انما هو موضوع العبادة ولا يمكن غيره ان يحل محله وله وحده نقدم سجودنا وأما الشهداء فهم موضوع مديحنا ومحبتنا (فصل ١١ وجه ١٠٠)

ولنا أدلة أخرى من أقوال الآبا كالقديس ترتليانوس والقديس
كبريانوس وغيرهما كتاريخ كنيسة الانكليز (فصل ٤ قسم
٢ : ٥) وكتاب ريحانة النفوس (وجه ٢٠ و ٢١) فنستغنى
بالاشارة حيث لا يطيق المقام بسط هذه الشهادات وغيرها ومن
أراد الاطلاع على بعضها فليقرأ وجه ١٠٠ من كتاب البينات
الواقية

﴿ الباب الثاني في الصوم ﴾

بما ان الصوم قسم ثانوى جوهرى بعد الصلوة من واجبات
العابد الحقيقية رمنا ان نضع له بحثا قائما بذاته ولذا نضع
أول كل شئ مقدمة نبين فيها معنى الصوم من حيث هو بحصر
اللفظ بحسب تعليم الكتاب المقدس والتقليد الشريف فنقول
ان معنى الصوم أولا هو امتناع عن بعض أطعمة واستعمال
أخرى غيرها فالامتناع هو بما ان المقصود من الصوم ماهو
الا قمع الجسد واذلاله ونسكه وعفته وقهر شهواته وعواطفه
وامياله الدنيوية لقد يوجد بعض أطعمة غير موافقة ولا مناسبة
لهذا القصد وهذا الصدد وتلك كاللحوم والدسومة والاطايب
الفاخرة الملذة والزهومة ولنا لاثبات هذا الامر دليل الاستقراء
وهو مارواه لنا دانيال النبي وأنباه عن كيفية نسكه قائلا في تلك
الايام

الايام أنا دانيال كنت نائحا ثلاثة أسابيع أيام لم آكل طعاما
شهيا ولم يدخل فمي لحم ولا خمر ولم أدهن حتى تمت ثلاثة
أسابيع أيام (دا ١٠ : ٢ ـ ٣) فنستنتج من هذه الحكاية أو
الشهادة التي جاءت بطريق الصدفة والعرض عبارتين الاولى ان
هذا الامتناع والانقطاع عن تناول وأكل اللحم والخمر وغيرهما من
الدسم كانت غيرها كتبعة الاسرائيليين ومنها النبي تعلم ومنها
اخذ طريق صومه والثانية ان النبي عين وقتا محددا لصومه كما
يظهر من قوله حتى تمت الخ ولا يخفى فطنة جناب القارئ ان
كنيسة اسرائيل هي اصل وعلة ومصدر بالنسبة لكنيسة المسيح
فيقتضى ان تقتدى هذه بتلك والاستعمال بعكس الامتناع
اي من حيث قد يوجد بعض أطعمة توافق النسك كل الموافقة
وتناسب العفة كل المناسبة بما انها لا تؤثر اذا تناولها المرء
بجسده تأثيرا زائدا عن الغاية المطلوبة أي لا يثور عليه من قبلها
حب جسدي ولا عراك بدني أو عراك شهواني سوى كونها
تقيته لقيامه الضروري فتستعمل دون خلافها وهي الحبوب
والبقول التي أمرت الانبياء ان تتناولها مدة نسكها (حز ٤ : ٩)
كيلوا نخبرا مع ذلك الامتناع وذلك الاستعمال قد تعين له مدة
محدودة وأوقاتا معلومة للصوم فالمدة هي مطلق الصوم والاوقات
لتناول الاطعمة المنوه عنها والمرجح ان البيعة المقدسة استفادت

وضع الصوم فرضا وقانونا على هذا الاسلوب وهذه الكيفية من أمرين الاول وهو المهم لكيما يكون المؤمنون سائرين على رأى واحد وطريقة واحدة ونظام واحد وترتيب واحد الامر الذى يتوقف عليه اتفاق المؤمنين بتقديم العبادة الجمهورية وقد أخبرنا لوقا الانجيلى ماينبت هذا الامر بحيث مهما فعله الرسل كان برأى واحد لاسيما فى احتفالات العبادة (اع ١ : ١٤ و٢ : ١ و٤٦) والثانى من أمر الله لحزقيال النبى بتعيين وقتا محددا لتناوله الطعام (حز ٤ : ١٠ و١١)

وعدا ذلك عندنا دليل واضح لاثبات الصوم بهذه الكيفية ألا وهو أمر الرسل الاطهار فانه قد ورد فى كتاب قوانينهم ما لفظه وتعملوا عيد الايفانيا فى السادس من الشهر العاشر عند العبرانيين والحادى عشر من الشهر الخامس عند المصريين وبعده صوم الاربعين تذكار فضيلة وحسنات الرب لكن هذا الصوم يكمل قبل الفصح ويكون بدؤه من يوم الاثنين وكماله يوم الجمعة وصوموا فى أيام الفصح وابتدئوا من يوم الاثنين الى يوم الجمعة والسبت وهى ستة أيام تتناولون فيها الخبز والملح والماء فقط فاما اللحم والخمر فانتهوا عنهما فى هذه الايام لانها أيام حزن وليست باعياد

فحاصل ماتقدم ان الصوم من حيث هو معناه انقطاع المؤمنين

وامتناعهم

وامتناعهم عن بعض الاطعمة واستعمالهم غيرها فى أزمنة معلومة وأوقات معروفة ومعينة وهو موافق كل الموافقة لروح الكتاب المقدس وأنفاس تعليم الكنيسة الرسولية وتقاليدها الانجيلية

تنوع الصوم بحسب ماجاء فى الكتاب المقدس والتقليد الشريف

لنضع أولا تفاصيل الصوم وأنواعه ثم نعقبها ببيان أى نوع من هذه الانواع الذى جرت الكنيسة عليه ومارسته سنويا وبواسطة ذلك نضع حدا وقانونا لكل من الانواع التى نبسطها فعلى مقتضى ذلك يكون الصوم جنسا يشمل أنواعا وأول نوع هو الصوم الخصوصى بحسب ظروف الاوقات وأحوال الحيوة فيفرض المرء على نفسه صوما وذلك اذا وقع فى شدة أو حلت به مصيبة أو اصابته نائبة من نوائب الزمن وذا نعرفه أولا مما فعله داود النبى حيث لما أوقع الله بابنه هو الغير الشرعى مرضا صام من أجله مدة سبعة أيام اذ أخبر عنه الكتاب ان داود سأل الله من أجل الصبى وصام داود صوما ودخل وبات منطرحا على الارض (٢ صم ١٢ : ١٦) ولم يكن هذا الصوم

اعتياديا اعتاد عليه داود بل كان قاصرا على مدة مرض الصبي اذلما قضي نحبه وفرغ أجله ومات حتف أنفه قام داود عن الارض واغتسل وأدهن و بدل ثيابه ودخل بيت الرب وسجد ثم جاء الى بيته وطلب فوضعوا له خبزا فأكل (: ٢٠)

ثانياً صوم موسى مقدام الانبياء وكليم الرب لما صعد الى الجبل ليقتبل الشريعة من الله وقد قال عنه الكتاب انه كان عند الرب أربعين نهارا وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء فكتب على اللوحين كلمات العهد الكلمات العشر (خر ٣٤ : ٢٨) وفى مقابلة ذلك صوم ايليا النبى لما هرب من وجه ايزابل الشقية اذ بينما كان نائما فاذا بملاك قد مسه وقال قم وكل فتطلع واذا بكعكة رضف وكوز ماء عند رأسه فاكل وشرب ثم رجع فاضطجع ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسه وقال قم وكل لان المسافة كثيرة عليك فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الاكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة الى جبل الله حوريب (امل ١٩ : ٥-٩) انما كل ذلك لم يكن مما نحن بصدده اذ كان خارقا للعادة والطبع ومن هذا القبيل صوم سيدنا يسوع المسيح له المجد اذ بعدما اعتمد من يوحنا بن زكريا فى نهر الاردن وخرج الى البرية ليجرب من ابليس صام أربعين يوما وأربعين ليلة (مت ٤ : ١ و ٢) وانما صومه

كان

كان من أجل ثلاثة أمور كما أخذنا ذلك عن أئمة البيعة المقدسة وعلمائها المشهورين . فالاول موافقة ومقايسة لما فعله وجرى عليه موسى النبي بصعوده الى الجبل واقتباله الشريعة من الله على لوحين من الحجارة . والمسيح الاله المتأنس هكذا فعل لما جاء واضعا الشريعة الفضلى الجديدة مقتادا بها العالم الى منهج الدين القويم وطريق الحيوة الابدية فقبل ماشرع بالامر باعطاء الناموس الجديد الفاضل وبث الدعوة الالهية صام أربعين يوما وأربعين ليلة . وانما لم يكن منه ذلك افتقارا واحتياجا للمساعدة والتعاون وطلب واستمداد قوة ومعاضدة من جهة أخرى . اذ هو الاله المتأنس والمتجسد بالطبع والذات والجوهر . لكن ليظهر للعالم وبالاخص لليهود موافقته لانبياء [illegible] بانه مقتفى اثرهم لاخلافهم ولا ضدهم لان النبي موسى انذر شعبه قائلا . يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون (تث ١٨ : ١٥) الثانى من اجل انتصاره وظفره بابليس الذى تغلب وانتصر على أصل النوع البشرى لانه فى هذا الامر اقام ذاته القدوسة مقام آدم بما انه من نسله ونائب مناب ذريته أجمع ويحقق لنا ذلك امتحان وتجريب ابليس له بالانواع التى جرب بها آدم وامتحنه وظفر به وغلبه واخضعه تحت سودد لوائه الجهنمى أعنى بالاكل والافتخار

والطمع . أما المسيح الكلمة المتأنس فقد ناضله مناضلة تليق بسيادته وبقداسة ذاته وكافحه مكافحة بها رفع لواء النصر عليه اذ حطم رايته وهدم تجبره وكسر تكبره ومحق عز سلطانه قسرا وقد قالت العلماء الفاضلون ان فى ذلك الحرب المعنوى الذى صار بين المسيح وابليس كانت أعوان وأجناد كل منهما واقفين على تقابل منتظرين ومترصدين انتصار وغلبة سيدهم . فلما غلب ابليس ذهبت أعوانه وجنوده القهقرى متخذلين وولوا الادبار منهزمين وأتت الملائكة لخدمة سيدهم الاعظم وملاذهم الاكرم (مت ٤ : ١١)

الثالث والاخير صام ليضع انموذجا ومثالا للمؤمنين حتى يتعلموا طريق العبادة الحقيقية منه بما أنه هو الطريق والحيوة والحق (يو ١٤ : ٦) فيستظهرون بالنصر والغلبة والظفر على عدوهم ابليس بواسطة العفة والامساك والحمية اى الصوم فحينذاك ينتهجون منهج معلمهم الاقدس الذى قال احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى (مت ١١ : ٢٩) ويقتفون أثر خطواته كما قال بطرس الرسول لانكم لهذا دعيتم فان المسيح ايضا تألم لاجلنا تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته (١ بط ٢ : ٢١) وامر حقيق ثابت لايعتريه ريب ولا يتخلله شك ان القديسين اقول والعباد والنساك فى مدة الصوم يحاربهم ابليس

زيادة

زيادة عما اذا فرغوا منه وانطوى زمانه وصاروا فى زمان آخر . وهذا دليل نظرى يبين فضل الصوم ونتيجته . ومن كان على ريب من ذلك فعليه بالامتحان

ثالثا صوم دانيال النبى أولا من أجل خلاص بنى جنسه من السبى البابلى وثانيا من أجل اطلاعه على الامور الغامضة واكتشافه الاسرار العسرة الفهم فعن الاول أخبرنا قائلا . فى السنة الاولى لملك داريوس . انا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب الى أرميا النبى لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم فوجهت وجهى الى الله السيد طالبا بالصلوة والتضرعات بالصوم والمسح والرماد (دا ٩ : ٢ و ٣) وعن الثانى قال أيضا فى السنة الثالثة لكورش ملك فارس كشف أمر لدانيال الذى سمى باسم بلطشاصر والامر حق والجهاد عظيم وفهم الامر وله معرفة الرؤيا فى تلك الايام انا دانيال كنت نائحا ثلاثة اسابيع ايام لم آكل طعاما شهيا ولم يدخل فى فمى لحم ولا خمر ولم ادهن حتى تمت ثلاثة اسابيع ايام (دا ١٠ : ١-٣)

رابعا واخيرا صوم بولس الرسول من اجل وقوعه بالمخاطر والتجارب وحلول البلايا والمعاطب عليه وعن ذلك قال فى تعب وكد فى اسهار مرارا كثيرة فى جوع وعطش فى أصوام مرارا

كثيرة (٢كو ١١ : ٢٧) فمحصل ماتقدم أن رجال الله الابرار كانوا يفرضون على ذواتهم أصواما حينما تحل بهم آفة من افات الدهر كاضطهاد اوضيق أو موت أو غلا أو قحط كما ان البيعة المقدسة قد تفرض على أفراد بنيها أصواما خصوصية عدا الاصوام المفروضة القانونية وذلك اذا وقع أحدهم فى معصية أو ارتكب جريمة أو اخطأ خطيئة أوهفا هفوة تأديبا له وقصاصا وهذا الامر قد سرى فى الكنيسة الارثوذكسية وما برح سائرا الى الآن وسيبقى الى الانقضاء

النوع الثانى

الصوم العمومى بحسب ظروف الاوقات واحوال الحيوة

ان المصائب قد تكون لادائما مختصة بالناس دون اناس بل تشمل امة أو شعبا أما من أجل ذنب وأما امتحانا . فلكى يخلصوا من مثل هذه المصائب يقدمون عبادة جمهورية غير اعتيادية يفرضونها على انفسهم مدة مكابدتهم تلك المصيبة والتجربة وتلك العبادة تكون قاصرة على حالهم الراهنة التى مازالوا فيها موجودين حيث متى خلصوا منها يتركون ماافترضوه . وانما يفترضونه يكون على الغالب صوما عاما يعم الكافة كما يخبرنا كتاب الله العزيز عنه بكل صراحة ومن ذلك
أولا

أولا ان أهل نينوى المدينة العظيمة التى زاغ أهلها عن الحق والتووا أعوجاجا عن منهج الاستقامة اذ عملوا الشر امام اله السماء والارض وتلطخوا بحمأة ونجاسة كل نوع من الاثم والخطأ الى حين حمى غضب الله حموا شديدا عليهم وعزم على ابادتهم وامحاقهم من على وجه البسيطة تابوا وخلصوا بواسطة انذار يونان النبي وذلك ان الله بما انه معدن الرحمة وطويل الروح وكثير الرأفة وجزيل الحنو على مصنوعاته ولا سيما البشر فيسبق قصاص الاشرار بانذارهم حتى اذا أقلعوا عن أعمالهم الرديئة وأفعالهم السيئة ومعاصيهم أغدقت الرحمة الالهية عليهم أغداقا فيرتد غضبه عنهم ويخلصون كما قال بطرس الرسول . لايتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطوء لكنه يتانى علينا وهو لايشاء ان يهلك اناس بل ان يقبل الجميع الى التوبة (٢ بط ٣ : ٩) وقد قال الرب بفم يوئيل النبي ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكا والنوح ومزقوا قلوبكم لاثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لانه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر (يوء ٢ ١٢ و ١٣) وقال بولس الرسول أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول اناته غير عالم ان لطف الله انما يقتادك الى التوبة (رو ٢ : ٤) فلما قصد الرب وعزم ان يحل باهل

نينوى غضبه وينتقم منهم ويمحو آثارهم أرسل نبيه يونان منذرا اياهم ومخبرهم بما سيحل بهم عقابا جزاء أعمالهم قائلا بعد أربعين يوما تنقلب نينوى (يون ٣ : ٤) وكان لسان البارى يناشدهم بفم النبى أهل نينوى لا تيأسوا ولا تخيبوا أملا ولا تقطعوا رجاء اعلموا أنى تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك فترجع تلك الامة التى تكلمت عليها عن شرها فاندم عن الشر الذى قصدت ان أصنعه بها وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع لصوتى فاندم عن الخير الذى قلت أنى أحسن اليها به (ارم ١٨ : ٧ - ١٠)

اما يونان فاستمر على هذه الحال يناديهم بزجراته ويتوعدهم بانذاراته حتى هرعوا لمعانقة التوبة كولد يعانق أباه أو ابنة تعانق امها وقاموا على ساق وقدم بالزفرة والحسرة والندم ولبسوا المسوح الخشنة عوض الثياب الفاخرة ومدوا تحتهم الرماد بدل الفرش والمهاد هبط الملك عن الاريكة الملوكانية ونزل عن ذروة السدة السلطانية ترك ونبذ سرير العاج والتحف بثوب الوضاعة عوض البرفير والديباج عادل الشريف الحقير وساوى العبد الامير رفض الشاب ملذاته وسمعت ضجة زفراته انقطع الطفل عن الرضاع ودفع للبكاء والنزاع صام الصغير

الصغير كالكبير والغنى الرفيع كالوضيع انتحب الكهل كالطفل وناحت الشباب كالشيوخ العواجز وأفلت شموس العز من تلك الربوع والمراكز سمعت أصوات فى المدينة ترعب الاسد القاهرة وتفكك فرائص الجبابرة. أمر الملك وعظماؤه بان لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئا ولا ترع ولا تشرب ماء وليتغط بمسوح الناس والبهائم ويصرخوا الى الله بشدة ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك (يون ٣ : ٧-٩)وهكذا بواسطة تذللهم امام الله ورجوعهم عن طرقهم الرديئة رحموا ورد غضب الله عنهم وخلصوا فكانت التوبة بالصوم هى السبب الوحيد لرد نقمة وقصاص الله عنهم

ثانيا ان استير حينما علمت من مردخاى بن عمها بتلك المصيبة الكبرى التى أزمعت وكادت ان تحل بها وبشعبها اليهود المتفرقين فى كافة مملكة الملك احشويروش بالسبى البابلى بواسطة وشاية وزيره هامان الذى كان عدوا الدا لشعب اليهود أجمع بواسطة عدم قيام مردخاى له بالاحترام والطاعة العمياء فاضمر الشر ومد يده بالاساءة والشر لا الى مردخاى فقط بل لكافة بنى شعبه بابادتهم من رضيعهم الى شيخهم(اس ٣ : ١٣) فمردخاى

لما اكتشف مافى كنانته من اسهم المكيدة ونبل الاحبولة والمصيدة حيث اضمران يفتك به وبنى جنسه على أقرب حين وأدنى من قاب قوسين اسرع فاخبر ابنة عمه الا وهى استير الملكة لكى تسأل الملك وتتشفع لديه بخلاص بنى جنسها من غائلة وزيره ففرضت قبلا استير على ذاتها وعلى جواريها وعلى كافة اليهود القاطنين شوشن صوما وبواسطة هذا الافتراض نالت نعمة قدام الملك وظفرت بالحظوة والرضا والقبول امامه وحرزت النصر وفازت بالظفر اذ حازت نجاة ذاتها وخلاص ابن عمها وبنى جنسها وكان انتهاء الامر بقتل هامان اشر القتل وموته اشر واقبح الموت (اس ٧ : ١٠)

ثالثا لما كان أهل السبي سائرين مع عزرا الحبر لمنهم العزيز الى أورشليم وقع عليهم رعب وفرق ورهب من مخاطر السفر وطوارق الصحراء والبر ناداهم عزرا وفرض عليهم صوما قرب نهر اهواء فتذللوا امام الههم طالبين منه طريق مستوية فاستجاب لهم وقادهم الى وطنهم آمنين (عز ٨ : ٢١-٢٣) ومن هذا القبيل مافعلوه بعد وصولهم الى اورشليم اذ صاموا وعليهم المسوح والتراب (نح ٩ : ١) من أجل استتباب وتوطيد اقدامهم وعمار بلادهم وحفظها تحت ظل عنايته ولواء ربوبيته

رابعا

رابعا مافعله بنو اسرائيل يوم مبارزتهم لاعدائهم الفلسطانيين اذ صاموا فى ذلك اليوم وقالوا لقد أخطأنا الى الرب (اصم ٧ : ٦) فصنع معهم المستوى وأخذ بناصرهم وكان لهم مخلصا ومنقذا ومحاربا تجاه محاربيهم

خامسا وأخيرا ان الرسل الاطهار كانوا يفرضون صوما اذا باشروا وشرعوا بعمل جديد وبالاخص عند رسامة خدام الكلمة أى الاساقفة والقسوس كما صنعوا عند رسامة بولس الرسول و برنابا اذ قال الكتاب. صاموا وصلوا ووضعوا عليهما الايادى (اع ١٣ : ٣) وقد جرى مثل هذا كثير فى اجيال المسيحيين الاول حينما كانت تقع بهم المصائب وتحل بهم التجارب فالحاصل ان هذا الصوم كان يفرض على عموم الشعب لادائما بل فى حال وظرف نزول الضيقات والشدائد .

النوع الثالث

الصوم الخصوصى بحسب العبادة الواجبة

قد اقتصرت علماء البروتستان على قبول النوعين اللذين أثبتنا صحتهما من النصوص الشرعية آنفا ودحضوا ما نحن الآن بصدده قاصدين بذلك نبذ ورفض مافرضته البيعة القويمة الرأى على بنيها من الانقطاعات والاصوام المختصة بتقديم

فروض العبادة الامر الواجب بالطبع الانسانى والناموس العقلى فادعاء البروتستان فضلا عن كونه ينافى ويخالف احساسات الطبيعة وناموسها الغريزى فانه يخالف على خط مستقيم أنفاس روح النصوص الالهية والتقاليد الرسولية واثباتا لذلك نذكر ماجمعته قوانا وحافظت عليه ذاكرتنا ومنه ماقصه داود النبى فى سفر المزامير قائلا.أبكيت بصوم نفسى فصار ذلك عارا على جعلت لباسى مسحا وصرت لهم مثلا (مز ٦٩ : ١٠) اذللت بالصوم نفسى وصلاتى الى حضنى ترجع(مز٣٥ : ١٣) ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمن (مز١٠٩ : ٢٤) فامر صريح لايتخلله شك ان صوم داود هذا ليس هو وقتيا بل اعتيادى كانه فرض واجب عليه وهاك دليلا أقوى من هذا ان لوقا البشير قد أورد لنا نبذة صغيرة جمع فيها مختصر تاريخ احدى القديسات اللواتى كن يعبدن الله بالروح والحق الا وهى حنة النبية التى كانت ملازمة الهيكل منفردة بالنسك والعفة وقد قص خبرها قائلا وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهى متقدمة فى أيام كثيرة قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهى ارملة نحو اربع وثمانين سنة لاتفارق الهيكل عابدة باصوام وطلبات ليلا ونهارا (لو ٢ : ٣٦و٣٧)

ومن

ومن هذا القبيل عبادة كورنيليوس الرومانى الذى خاطب بطرس قائلا منذ أربعة أيام الى هذه الساعة كنت صائما وفى الساعة التاسعة كنت أصلى فى بيتى واذا رجل قد وقف امامى بلباس لامع (اع١٠ : ٣٠) وأظن ان كل ذى عقل سليم يسلم بان صوم حنة وصوم كرنيليوس لم يكونا بطريق الصدفة والعرض بل بطريق العادة والتطبع كما هو ظاهر كالشمس فى رائعة النهار

ثانيا قد أخبرنا الانجيل المقدس ان أحد الفريسيين صعد الى الهيكل ليصلى وقد قال بصلاته انه كان يصوم فى الاسبوع دفعتين (لو١٨ : ١٢) فنستدل من ذلك ان افراد اليهود ان لم نقل أجمعهم كانوا يصومون فى كل سبعة يومين وعلى الغالب والمرجح يوما الاثنين والخميس كما يظهر ويتضح لنا ذلك من قوانين الاباء والمجامع التى تحذرنا كل الحذر عن الصيام فى هذين اليومين وبالاخص كتاب تعليم الرسل الاثنى عشر الذى ترجم الى اللغة العربية بيد القس يوحنا هوج البروتستانى مذهبا والانكليزى جنسا الذى قيل فيه لايكون صومكم مع المرائين الذين يصومون الاثنين والخميس بل صوموا الاربعاء والجمعة (٨ : ١) وعلى كل حال لابد ان اليهود كان دارجا عندهم صوم يومين فى الجمعة كما أخبرنا الفريسى .وهنا

علمونا وهو ان صوم الفريسى لم يكن فى حد ذاته مرفوضا بل استعماله كان بطريق غير واجبة وغير مستكمل الشروط فمن ثم لايمس بشرف الصوم وحقيقته كما ان صلاته التى رفضت لاتحط بمقام وجوب الصلوة مطلقا

ثالثا ان المسيح له المجد قد أنبأنا عن نسكيات القديس يوحنا بن زكريا المعمد بقوله جاء يوحنا لاياكل ولا يشرب (مت ١١ : ١٨) ولقد أخبرنا الانجيل الشريف عن سمو عبادة ونسك وعفة هذا القديس بقوله يوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جرادا وعسلا بريا (مت ٣ : ٤) وقد امتدح المسيح نسكه هذا بحضرة جمهور من اليهود وشرفه ورفع مقامه على كافة مواليد النساء بقوله ماذا خرجتم لتنظروا أقصبة تحركها الريح لكن ماذا خرجتم لتنظروا أانسانا لابسا ثيابا ناعمة هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك الخ (مت ١١ : ٧-١١) فطالما هيا البروتستان وقدحوا بحق العبادة وطالما طعنوا بطريقة العفة والنسك محاسبينها فضلة زائدة أو بدعة اتخذتها البيعة عن تعاليم أفلاطون جاهلين ان قدحهم هذا ماهو الا لكلمة على بطون كتب الله المنزلة ولطمة على خدود رجال الله القديسين الناسكين وروح أنفاس تعليم الكنيسة الجامعة الرسولية

الرسولية ومن هذا القبيل تقريعهم بحق العباد وهجوهم وتعريفهم النساك الذين تركوا العالم وانفردوا فى الجبال وسكنوا الصحارى والفلوات ولكن قد تصدع بهم الاية الرسولية التى أقرت بسمو طريقتهم وشهدت بحسن فعالهم هذا .وهم لم يكن العالم مستحقا لهم تائهين فى برارى وجبال ومغاير وشقوق الارض (عب ١١ : ٣٨)

رابعا وأخيرا ان صوم السيد المسيح المتشرع كان تعليما وطريقا للمؤمنين كما ان صلواته المتواترة كانت اغوذجا تقتدى به النصارى وبما أنه صام فقد رسم بصومه الصوم فعلا ووضع أخيرا قانون الصوم قولا .ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم وأما أنت فتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكى لاتظهر للناس صائما بل لابيك الذى فى الخفاء فابوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية (مت ٦ : ١٦ و ١٧) فالحاصل مما تقدم ان الصوم لم يمارسه رجال الله القديسون فى كل الازمنة على حسب الظروف بل قد مارسوه عبادة واجبة. فالكنيسة المقدسة الارثوذكسية قد علمت بنيها ان يصوموا منذ ماشيدت أركانها ورسخت دعائمها وهذا التعليم نجده دارجا فى الجيل الاول للمسيح بين افراد المؤمنين حتى

بين العائلات المسيحية فان القديس بولس خاطب أهل كورنثوس موصيا ومحرضا به. لايسلب أحدكم الاخر الا أن يكون على موافقة الى حين لكى تتفرغوا للصوم والصلوة ثم تجتمعوا أيضا معا لكى لايجربكم الشيطان لسبب عدم نزاهتكم (١كو ٧ : ٥) وقد درج فى أواخر الجيل الثالث ومبادى الجيل الرابع بين الرهبان والراهبات بطريقة عجيبة وقد أخبرنا الذهبى الفم عن مفعوله الصالح بهم ونتيجته الفاضلة بخطاب قال فيه. اتشاء ياهذا ان تعلم كية وزينة الصوم للناس وحفظه وثباته لهم فتأمل جنس المتوحدين المطوب العجيب كيف انهم يفرون من الاضطرابات العالمية ويبادرون نحو قمم الجبال ويشيدون لهم هناك أكواخا فى هدو الصحارى كانهم فى الميناء الامين ويجعلون الصوم هناك مقتناهم ومسكنهم وشريكا لهم فى جميع حياتهم وأما هو فيجعلهم ملائكة عوض بشر وليس لهم فقط بل لكل من وجده محبا له فى المدن والقرى يصعده الى حدود علو الفلسفة (مقالة ٢٨)

النوع الرابع

الصوم العمومى بحسب العبادة الواجبة

قد أتينا بحول البارى الى آخر نوع من أنواع الصوم وهو الذى

الذى عليه يتوقف مدار البحث ومجال الفحص والاستقصاء فى هذا الباب أذ به تندرج الاصوام التى فرضتها كنيسة الله المقدسة منذ مبادى الاجيال الاولى للمسيح على أبنائها بنوع تقديم العبادة الجمهورية المشتركة ما بينهم بالاجمال والاجماع فلنأخذ اذا بالبحث عن حقيقته لقد تقدم لنا انفا مما أوردنا ان الصوم كان دارجا فى العهد القديم والعهد الجديد على نوعين الاول بحسب ظروف الازمنة باوقات معروفة والثانى بمقتضى قانون العبادة الواجب الخاص على الافراد فقد بقى لنا النوع الذى يعم الافراد ويجرى بالنظام والترتيب باتحاد وارتباط الهيئة الاجتماعية وهذا أيضا محقق وثابت لانه كما ان الصوم الذى بحسب الظروف والازمنة كان يجرى بعضه بالنظام والترتيب على الكافة موقتا هكذا الصوم الذى ثبت بمقتضى وجوب العبادة يلزم ان يجرى بعضه بالنظام والترتيب على العامة مؤبدا ولنا على اثباته دليل الاستقراء أذ قد صرحت به الاسفار الالهية كل التصريح وأيدته وشهدت لصحته وهاك بعضا من نصوصها

اولا قد جاء فى نبوة زكريا عن فم الرب. ان صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجا وفرحا وأعيادا طيبة (زك ٨ : ١٩)

وقد وبخ الله الاسرائيليين على عدم قيامهم بواجبه . قائلا لما صمتم ونحتم فى الشهر الخامس والشهر السابع وذلك هذه السبعين سنة فهل صمتم صوما لى انا ولما أكلتم ولما شربتم أفما كنتم أنتم الآكلون وأنتم الشاربون (زك ٧ : ٥-٦) وهذا التقريع عينه نسمعه مقولا بفم اشعيا النبي . ها انكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون ها انكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بكلمة الشر لاتصوموا كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء أمثل هذا يكون صوم اختاره يوما يذلل الانسان فيه نفسه يحنى كالاسلة رأسه ويفرش تحته مسحا ورمادا هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب أليس هذا صوما اختاره حل قيود الشر فك عقد النير واطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير أليس ان تكسر للجائع خبزك وان تدخل المساكين التائهين الى بيتك اذا رأيت عريانا ان تكسوه وان لاتتغاضى عن لحمك (اش ٥٨ : ٣-٧) وقد حافظت كنيسة اسرائيل على هذه الاصوام ولبثت محافظة عليها الى مجيء السيد كما يخبر الانجيل المقدس ان تلاميذ يوحنا والفريسيين كانوا يصومون فجاؤا وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيين وأما تلاميذك فلا يصومون (مر ٢ : ١٨)

ثانيا

ثانيا اما وضع سنة الصوم لكنيسة المسيح فقد جاء به أمر صريح من فمه لاشك فيه لانه أمر رسله بعبارة واضحة ان يفرضوا قانون الصوم ويضعوه على عواتق المؤمنين حيث لما رام الفريسيون وضع شيئا يناسب ناموسهم على مناكب التلاميذ اجابهم المسيح ان الناموس الغير الكامل الموضوع لوقت ما فهو وما يتعلق به لايصح ان يمتزج بالناموس التام الذى لايقبل النسخ والالغاء . هل يستطيع بنو العرس ان يصوموا والعريس معهم مادام العريس معهم لايستطيعون أن يصوموا ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون فى تلك الايام ليس أحد يخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق والا فالملء الجديد يأخذ من العتيق فيصير الخرق أردأ الخ (مر ٢ : ١٩ - ٢٢) ولكن البروتستان يزعمون خلاف ما تواطأت البيعة واتفقت على فهم كلام المسيح هذا وتفسيرها له . فيقولون ان كلام المسيح فى هذا الموضع وتصريحه بالصوم ليس هو بطريق العبادة التى تجرى على المؤمنين بسنة وفرض وانتظام هيئة الجماعة مرتكنين على ما قاله ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم مدعين ان ارتفاعه ماهو الا تسليمه بحلول المصائب بهم ونزول البلايا والتجارب عليهم هذا وهم مردود لان المسيح أورد عبارة فحواها مقابلة

ناموس العهد القديم بناموس العهد الجديد وعدم ارتباط واتفاق أحدهما بالآخر حيث لوضح ان ناموس موسى بمثابة الشيخ الهرم الذى لايستطيع الرجوع الى حال ريعان الشباب وعنفوان الصبا بخلاف ناموس العهد الجديد اذ قد صار كل شئ بالمسيح جديدا (٢كو ٥ : ١٧ عب ٨ : ٨و١٣) فبالأولى ناموس الصوم يقتضى ان يكون بالمسيح بطريق اخرى وارتفاعه عنهم ماهو الاصعود بالجسد الى السماء وجلوسه عن يمين العظمة كما قال وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب الىّ الجميع قال هذا مشيرا الى أية ميتة كان مزمعا ان يموت (يو ١٢ : ٣٢و٣٣) على ان المسيح لايفارق الكنيسة لحظة بصر لاسيما بوقت جهادها وتحملها متاعب ومشاق المصاعب حتى لايدعها ان تجرب فوق مالا تستطيع بل يجعل مع التجربة أيضا المنفذ لتستطيع ان تحتمل (١كو ١٠ : ١٣) فتصريحه بالصوم اذا كان أمرا واضحا واشارة بينة عن انتظام العبادة الجمهورية التى صارت بعد صعوده الى السماء لان المسيح بحال وجوده على الارض لم يحدد عبادة ولم ينتظم كنيسة بل أمر تلاميذه بذلك ومن ثم نرى الرسل بعد صعوده شيدوا دعائم الكنيسة ووطدوا اركانها وكانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلوة والطلبة مع النساء ومريم ام يسوع ومع اخوته (اع ١ : ١٤)

لاسيما

لاسيما وضع وترتيب الصوم بمقتضى عبادة الرب الواجبة اذ قيل وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه (اع ١٣ : ٢)

خاتمة هذا الباب ان الصوم واجب وبالاخص صوم الكنيسة المقدسة الارثوذكسية

تستنتج من النوع الثالث والرابع ان الصوم لم يستعمل فى جميع الازمنة من أجل حلول التجارب ونزول المصائب بل قد استعمل بطريقة فرض وناموس بمقتضى تعليم العبادة الالهية الواجبة فمن ثم يكون صوم الكنيسة القويمة الرأى الذى افترضته على أبنائها جرى على هذا الاسلوب ومن خالفها فى هذا التعليم الالهى فقد غلط كل الغلط وأخطأ خطاء قطعيا وحاد عن طريقة الاستقامة وقبل ان نبدؤ ونأخذ بالبحث عن زمان وضع الصوم فى البيعة المقدسة نبين كيفية اعتبار الصوم عند البروتستان وذلك اذا نظرنا بعين التروى والانتقاد بكيفية الصوم واعتباره لديهم سهل لنا ان نقدم لجناب القارئ موضوعا يستطيع ان يرى به حد الخلاف فى مبادئ تعاليمهم وحينذاك يصدق ما روته كتب التواريخ عن اختلافهم فى الاعتقادات

الجوهرية كما تقدم لنا بوجه ٤٢ فنقول ان بعضهم يعتبر الصوم فضلة زائدة لا لزوم لها وسنة نافلة عديمة الاهمية والبعض الآخر يعتبر لزومه وذلك كما أخبرنا انفا أي بزمان مكابدة المشاق والاتعاب وأنواع البلايا والبعض يتفق معنا كونه يعتبر الصوم عبادة واجبة تطلب من كل مؤمن مسيحي عابد الله بالروح والحق وهو على نوعين أحدهما كالكنيسة الانكليزية وهي أكثر اتفاقا لنا من غيرها فانها تحافظ كل المحافظة وتعتبر كل الاعتبار بعض الاصوام المفروضة من كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية كالصوم الاربعيني الرسولي (انظر وجه ٨٨-٩٨) من كتاب الصلوات العامة قانون كنيسة الانكليز وثانيهما يوافق تعليم الكنيسة من وجه ويخالفه من وجه آخر فوجه الاتفاق هو انه يعتبر الصوم بحال عبادة واجبة مطلوبة من كل شخص مسيحي كما أيد ذلك مؤلف كتاب كشف الظلام بقوله وكما ان الصلوة من الواجبات الناتجة عن احتياجات الانسان الروحية كذلك الصوم أيضا (وجه ١٠٢) وقال لان استعمال الصوم اللائق هو من جملة الوسائط لقهر الخطيئة والنمو في النعمة والقداسة واذا كان كثيرون من الناس يستعملون الصوم على طريقة غير لائقة فهذا لا يعذر الذين يمكنهم استعماله على حقه بمنفعة لانفسهم فاننا نخشى ان كثيرين من المسيحيين الحقيقيين يتغافلون عنه

عنه بالكلية وبذلك لا يفقدون منافعه في أنفسهم فقط بل يجعلون عليهم سببا للتهمة من أخصام الايمان الصحيح في أنهم يتبعون ديانة تعطيهم رخصة واسعة للتمتع بما تشتهيه أجسادهم وربما كان السبب لتركه عند البعض الكسل الروحي ومحبة الراحة وأما عند الاكثرين فهو لانه لم يحصل لهم تعليم كاف وانذار من هذا القبيل ولا يرون ان الصوم من واجباتهم ولا يعرفون كم من الفوائد الناتجة من استعماله (وجه ١٠٣ و١٠٤) ووجه الخلاف مع اعتباره للصوم كل هذا الاعتبار وتصريحه بانه فرض ديني واجب فانه يرفض استعماله جمهوريا بارتباط واتحاد افراد المؤمنين ويعطي لمطلق ارادة وحرية كل أحد ان يمارسه كيف ما يشاء وبوقت ما يريد كأن المسيح لم يرد ان تطلبه كنيسة وتعبده باتفاق واحد ورأي واحد ونفس واحدة وطريق واحدة والحال قد قال حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة هناك أكون في وسطهم (مت ١٨ : ٢٠) وصلى من أجل المؤمنين لكي يكونوا واحدا (يو ١٧ : ٢٠) يعني كي يعبدوا الله بالروح والحق (اع ١ : ١٤) وقال الرسول فلنعكف اذا على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض (رو ١٤ : ١٩) فان كان وعظ ما في المسيح ان كانت تسلية ما للمحبة ان كانت شركة ما في الروح ان كانت احشاء ورأفة فتمموا فرحي حتى

تفتكروا فكرا واحدا ولكم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيأ واحدا لاشيأ بتحزب أو بعجب بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم (فى٢ : ١-٣)

فهذا هو اعتبار الصوم لدى الفرق المذكورة واختلافهم به وما ورد من شهادة الكتاب القويم والرأى السديد هو كاف لرد ودحض كل ماينقولونه فى هذا المعرض اما الكنيسة التى وافقتنا بعض الموافقة باعتبارها وجوب الصوم وبالاخص التى حافظت على بعض من فروض البيعة وطقوسها كما يظهر لمن أطلع على كتاب الصلوات العامة المذكور انفا مثل هذه تلتزم ان تحافظ على فرض الصوم وقانونه كما تحافظ عليه البيعة الجامعة على انه ماخرجت عن كونها معدودة ومحصورة من ضمن الفرق التى خالفت فى مبادئها التعليم الارثوذكسى كالفرقة الكلوينية وغيرها حالة كونها مابرحت ولاتزال تحافظ كل المحافظة على بعض الطقوس البيعية الرسولية كيوم الرب وعماد الاطفال ورسم الصليب والاعياد والمواسم المقدسة السيدية وأعياد الشهداء والقديسين والصوم الاربعينى أما الفرقة الكلوينية وغيرها كالكويكرسية والسويدنبرجية والارفنكية والبليموثية وغيرها اللواتى كل منها تخالف اختها كل المخالفة فرفضت دون تلك العبادة الجمهورية الطقسية التى أجمعت الكنيسة

الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية على ممارستها واستمرت على هذه الحال نيفا عن ١٥٠٠ سنة حتى طلع اروان جعلها وانتشر بيد النمساوى والسويسرى أى لوثر وكلوينوس اللذان قاما تحت اسم المصلحين لكى ينقضا مابنى ويشيدا خارجا عن حظيرة المسيح كنيسة جديدة ويحرراها عن عبادة الله الارتباطية وقوانين المجامع الالهية وطقوس البيعة الرسولية لاسيما الاصوام والانقطاعات. أما زمن فرض الصوم فى البيعة فهو لاريب قديم لاحديث لاننا اذا بحثنا فى التواريخ البيعية وفى أقوال أبا الجيل الاول والثانى كالقديس ترتوليانوس وأكليمنضوس الاسكندرى ويوستينوس الشهيد وايريناوس وأبا الجيل الثالث والرابع كاثناسيوس والذهبى الفم فنجد الصوم دارجا بطريق العبادة الجمهورية وارتباط الهيئة الاجتماعية بعبارة واضحة صريحة فاباء الجيل الاول والثانى يخبروننا عن الصوم الاربعينى الرسولى الذى يتقدم عيد القيامة المجيد والصوم الاسبوعى أى الاربعا والجمعة والتاريخ المقدس قد أخبرنا عن مؤمنى الجيل الاول والثانى بانهم كانوا يصومون سنويا واسبوعيا كالذى ذكرناه (فصل٤ قسم٢ : ٥) مختصر تاريخ الكنيسة المطبوع بمالطا. وقد تأكدنا كل التأكيد ان الرسل هم الذين سنوا سنة الصوم كما رأينا فى كتاب القوانين المنسوب لهم وكتاب تعليم الرسل الاثنى

عشر المترجم من اليونانى بيد القس يوحنا هوج البروتستانى وأما أبا الجيل الثالث والرابع كيوحنا فم الذهب واثناسيوس الرسولى (انظر قانونه) لاسيما ابا مجمع نيقية المقدس الذين نقلوا الصوم الاربعينى واردفوه بجمعة الالام حيث كانت النصارى تبتدئ به من عيد الغطاس فهؤلاء جميعا يخبرونا عن حفظ المؤمنين للصوم واعتباره عندهم فرضا واجبا وعبادة مطلوبة. وبعدم معرفتنا وجهلنا بوقت وضع باقى فروض الصوم كالصوم الميلادى والرسولى والسيدى لايمنع قدمها وكونها غير مستحدثة لان الكنائس الغربية والشرقية رغما عما لديها من الخلاف ببعض العقائد قدتواطأت على حفظها هذه الاصوام واعتبرتها فرضا الهيا وقانونا رسوليا اذلو كانت مستحدثة أى بعد الانشقاق الذى حصل بينها فى المجمع الرابع وما يليه لما كانت تقبل الواحدة مافرضته الاخرى كما يعلم ذلك من له بصيرة واختبر التعاليم الارثوذكسية والغير الارثوذكسية ووقف على الاختلاف الذى طرأ عليها من بعد ذلك الانشقاق المذكور. أما قانون الصوم فما برحت الكنائس محافظة عليه ومعتبرة اياه فرضا واجبا وقانونا لاربا. فاى دليل حق ذكره أفضل من هذا الدليل لصحة كون الصوم فرضا قديما فى كنيسة السيد المسيح * لقد تدعى احدى الفرق المتقدم ذكرها على الكنيسة وتتهمها بانها

بأنها تتكل على الاصوام والانقطاعات معتبرتها وسيلة للكفاره عن ارتكاب الفواحش ولايخفى مافى هذا الاعتقاد الباطل من الاهانة والاحتقار والانحطاط بسمو فاعلية ذبيحة المسيح الكفارة الوحيدة

على ان الكنيسة تدحض هذه التهمة وتفسق هذا الادعاء الباطل بكل همة ونشاط. لانها طالما علمت ولاتزال تعلم بنيها بان ليس الصوم فقط لايكفر الخطاء ويقوم بالوفاء امام العدالة الالهية . بل كافة أعمال البشر الفاضلة وبرهم لاتقوم بالوفاء عن قصاص أصغر خطيئة وعقاب أحقر ذنب مرتكبين بحق الجلال الالهى الذى لانهاية له كما سنبين فى غير هذا المحل. ومبادئ تعاليمها عن الصوم والعائد منه . ان كان فى زمن التوبة فقصاص وتأديب عن الخطايا والآثام لا كفارة أو وفاء عن حقوق العدالة الواجبة التى لايفيها ان عظمت أم صغرت سوى ذبيحة الصليب . لان دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية (ايو ١ : ٧) وان كان فى غيره فلاجل النمو بالقداسة وقهر الخطيئة ولارتقاء النفس الى ذروة الفضيلة السامية وانتصارها على مجاذبة اهواء الطبيعة البشرية

واعتراضات مخالفى التعليم الارثوذكسى جميعها . أشبه باعتراضات رجل جاهل معرفة منفعة ونتيجة مفعول العلاج

الصالحة فاتى متعصبا وحرضا مريضا بان لايتعاطى دواء من حكيم مهما يكن فان ذلك الدواء لانه مضر وغير نافع . فيشي النصحوبشي المغرض . لان المريض أوشك ان يموت وكاد أن يهلك فان لم يلاف بالعلاج النافع والدواء الناجع سيموت عما قليل من الزمن . فاذا سمع المريض تلك النصيحة المضرة وتماجت الافكار الشكوك وخامر قلبه الريب واضمر على عدم معاطاته الادوية . يلزم الحكيم وينبغي له كي يزيل ماعنده من الخوف . أولا أن يتعاطى العلاج الملائم والموافق لمرضه أمامه كي يتأكد المريض انه غيرمضر . حيث لو كان مضرا وكان الحكيم قاصدا أن يوقع به شرا . لماتناول من ذلك الدواء قدامه . وثانيا أن يشرح له ويقص على مسامعه بعض من كان مريضا بدائه وشفي بواسطة معاطاته هذا العلاج فحينذاك يتأكد المريض ويتحقق صدق هذا وكذب ذلك الجاهل . هكذا حال مخالفي التعليم القويم الرأى مع أبناء الكنيسة فتراهم لايكفون عن تحريضهم بان يمتنعوا عن ممارسة الاصوام كأنه أمرا مضرا بهم أو كأنهم يرتكبون بذلك معصية لاتمحى . على أن جل مقصودهم هو اختطاف المؤمنين من حظيرة السيد المسيح (كالذئاب المدعية الرأفة التي تخطف الحملان وتمزقها كل ممزق) وتحريرهم من عبادته المقدسة وتسليمهم

الى

الى عبودية شهواتهم الجسدية . أما الكنيسة المقدسة فلا تزال تؤكد لبنيها كالطبيب للمريض نفع هذه الاصوام والعائد الصالح منها . وتذكرهم بمن مارسها من الابا والانبيا والرسل والشهداء والعباد والنساك وبتولات وملايين من القديسين حيث كان الصوم حصنا لهم وارتقوا به الى ذروة الفضيلة وتركوا أعمال الطبيعة الدنية الضئيلة . نفعنا الله بقبول صلواتهم واجابة طلباتهم

{الباب الثالث}

فروض العبادة المعنوية

كل من وقف على ماأوردناه في ذينك البابين يضطر ان يقر معترفا . بان الانسان مجبور بالطبع ومضطر بالذات أن يادي ماوجب عليه وحق من الواجبات الالترامية الدينية من حيث كونه مفطورا على هذه الملكة ومجبولا على هذه السجية أى أن يقوم بالعبادة الواجبة لخالقه والبرهان على ذلك هو شهادة الطبيعة نفسها على اختلاف أفرادها واختلاف أعصرهم ولهذا دعاه المتقدمون والمتأخرون حيوانا دينيا متعبدا . ومعنى التدين أو التعبد بحصر اللفظ وقيده بمقتضى تعليم قوى العقل البشري

التى أبرزته الى عالم الوجود هو ان يؤمن الانسان بوجود الخالق الذى أبدعه من العدم الى عالم الوجود كما قال الرسول ولكن بدون ايمان لا يمكن أرضاوه لانه يجب ان الذى يأتى الى الله يؤمن بانه موجود وانه يجازى الذين يطلبونه (عب ١١ : ٦) وان يتعبد لله وحده ولا يشرك معه عبادة آخر لانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد (مت ٤ : ١٠) وبمقتضى تعليم الكتاب القويم ان يؤمن بانه ذات واحدة ثلثة أقانيم أى أب وابن و روح قدس كما مقرر بقانون الايمان المستخرج من قلب الكتاب المقدس فهذه هى العبادة بحصر اللفظ أما فروضها خلاما تقدم أى خلا الصوم والصلوة فهى التى تعنى بها الفروض المعنوية لانه معلوم ان المسيح قال كل من يعترف بى قدام الناس اعترف انا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات وبالعكس من ينكرنى الخ (مت ١٠ : ٣٢ و ٣٣) ولكنه قال أيضا ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات (مت ٧ : ٢١) وقال يقترب الى هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا وباطلا يعبدوننى (مت ١٥ : ٨ و ٩) فالعبادة اذا بحصر اللفظ باطلة أى بدون اقترانها بالفروض المختصة بها وحيث من الامور الضرورية ايضاح هذه الفروض فلنأخذ بالتكلم على كل فرض منها بالايجاز

بالايجاز مجتنبين الاسهاب حتى نبين للمؤمن المسيحى بأية كيفية تكون العبادة بالروح والحق وعلى ذلك تكون هذه الفروض اهم ثانوى يجب الالتفات اليه والتأمل به والعمل بمقتضاه وفروض العبادة هى طاعة المؤمن لاوامر المعبود وعمله بوصاياه وهى كثيرة لا يسعها هذا المختصر الذى أنما جعلناه تفكره لأولى الالباب والبصائر لكننا نذكر المشهور منها والمشاع المدعوة عند اباء الكنيسة برؤوس الفضائل وقد اقتصرنا على ذكر أربعة منها

{اول فرض}

نجد فى النص الانجيلى والنص الرسولى وصية مهمة قد حرضنا الكتاب وشدد بها علينا اكثر تشديدا وأعظم تهديدا من وصية المحبة فكأنها شجرة نبتت بها فروع شتى كلها مزهرة ومثمرة ولهذا بما انها أس وأرومة واصل ومصدر لكافة مناقب المؤمنين وفضائلهم قد أمرنا المسيح بمفردها كأنها كافية لان نكون مسيحيين حقيقيين عابدين الله بالروح والحق .قائلا وصية جديدة انا أعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم انا تحبون انتم أيضا بعضكم بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذى ان كان لكم حب بعض لبعض (يو ١٣ : ٣٤ و ٣٥) وما من حب أعظم من هذا

ان يضع أحد نفسه لاجل أحبائه (يو ١٥ : ١٣) وقد قدم لنا المسيح تسهيلا لاتمامنا هذه الوصية الجديدة مثال حبه الذاتى الجوهرى للعالم باذلا الذات الكريمة دون مقابل ومجانا عوض جريمة وجريرة النوع البشرى. مبينا لنا بذلك ايضا ان حب الانسان لحبيبه والقريب لقريبه الامر الذى سنته وفرضت عليه احساسات الطبيعة البشرية وناموس الفلسفة الانسانية هو غير كاف لكمال فضيلة المحبة بل يتوقف على حب الغريب كما القريب والعدو الالد كما الحبيب وقد أمرنا بذلك بصريح القول أما انا فاقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم (مت ٥ : ٤٤) فتمام المحبة وكمال فضيلة المودة لا يتوقفان على محبة المرء لمن يحبه أو لمن لا يحبه ولا يبغضه فقط بل على محبة من يبغضه ويسئ اليه أيضا الناموس الفاضل الذى ما استطاعت ان تطلع عليه فلسفة بشرية أو تكتشفه حكمة عالمية بل جاء جديدا وسن حديثا بايدى المسيح المشترع واضع الشريعة الالهية الذى أحب أعداءه وصلى من أجل قاتليه وبارك على لاعنيه وأمرنا قائلا كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم أيضا بهم هكذا (لو ٦ : ٣١) وقد حصر وجمع بهذه الوصية الالهية كافة واجبات المؤمن من نحو الانسان العام لانه من

الامر

الامر الواضح والصريح اننا معشر البشريين لانريد ان يصنع أحد بنا الا كل خير وكل مايستريح ويستأمن ويطمئن به فؤادنا وكل مايصفى بالنا ويسكن بلبالنا ويهدى ضميرنا ويروق فكرنا ويخمد نار حاشنا ويطفئ وهيج واصطكاك هواجرنا ويبدد لهبة واضطرام حزننا وجمرا كتئابنا. أى نعم نريد اذا كنا فى حرج وضيق فرجا. نريد اذا كنا بفاقة سدها. نريد اذا كنا بتجربة عالمية خلاصا أو دينية تعزية ونجاة وصبرا واحتمالا. نريد اذا غلت أرجلنا بسلاسل الجور والظلم عدلا وانصافا. نريد اذا وقعنا بأيدى الغرماء وفاء وفكاكا. نريد اذا جهلنا علما. نريد اذا ضللنا ارشادا وهداية. نريد اذا أظلمت عقولنا استنارة واضاءة. نريد اذا حزنت قلوبنا وضاقت صدورنا واكتأبت ضمائرنا فرحا وسرورا وبهجة وحبورا. نريد اذا كنا بتعب شاق راحة ونياحا. نريد اذا عسر حالنا يسرا. نريد اذا افتقرنا واحتجنا احسانا وصدقة. نريد اذا تغربنا ضيافة. نريد اذا تعرينا كسوة وسترة. نرغب المواخاة لا المعاداة نشتاق للائتلاف لا للاختلاف. نميل نحو الاتفاق لا الانشقاق. نروم المسالمة لا المقاومة. نحب السكينة لا الضغينة. وجملة تغنينا عن التفصيل نريد كل ما هو صالح ومفيد ومريح لذواتنا. فكل هذه الامور وما سواها كما اننا نرغب ونسر ونشتاق ان تفعلها الناس بنا لصالحنا الخصوصى وفائدتنا الشخصية هكذا وجب

علينا وحق من قبل الامر السيدى ان نفعلها بكل احد من أجل خيره وصالحه وحينذاك نتم الامر الرسولى القائل فليرض كل واحد منا قريبه للخير لاجل البنيان لان المسيح أيضا لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت علي" لان كل ما سبق فكتب لاجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء (رو ١٥ : ٤) فحاصل ما تقدم ان المحبة بمقتضى الشرع الفاضل والناموس المسيحي الكامل الغير قابل النسخ والالغاء لا يصح ان تكون قاصرة على المحبين بل على الاعداء المبغضين أيضا كما قال المسيح لانه ان أحببتم الذين يحبونكم فاى أجر لكم أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك (مت ٥ : ٤٦) فمطلوب منك أيها المتدين والعابد بالروح والحق القاصد النجاة والراغب الخلاص والحياة المشتاق الى الاجر المضاعف والاكاليل الغير بالية والتيجان الغير مضمحلة . وواجب عليك ألا تحب محبيك وتبغض أعداءك ومبغضيك . ألا تحب القريبين منك وتمقت البعيدين عنك . ألا تسالم الاغنياء وتهين الفقراء والادنياء . ألا توادّ الموسرين وتحتقر ذوى الفاقة والمحتاجين . ألا ترضى ذوى الرتب الرفيعة الجليلة وتسخط ذوى الدركات الوضيعة الضئيلة ألا تكرم من يحسن اليك وتحتقر من يضربك . ألا تحترم من يحتفل بك ويكرمك وتهين من يحتقرك ويشتمك . لكن اذكر القول

القول الرسولى واطبعه على قوالب لبك وارسمه على صفحات قلبك ألا لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير (رو ١٢ : ٢١) وهذا الامر مطلوب منك اجراؤه لا بالفكر والقول فقط بل بالفعل والحق كما نبهك الرسول قائلا واما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق احشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق وبهذا نعرف أننا من الحق ونسكن قلوبنا قدامه (١ يو ٣ : ١٧ و ١٨) حيث لا ينبغى لك ان تكرم المسكين باللسان وتبتعد عنه بالقلب والعزم والفعل لان الله مطلع على أعمال قلبك ومكنونات ضميرك مكشوفة امامه ويعرف ان يميز صحيح محبتك من فاسدها وضرها من خيرها . وبقى لك أن تقول أيها المؤمن ان محبة من يحبنى ومسالمة من يسالمنى هما تحت امكانى ولى استطاعة ان أقوم بهما أما محبة من يبغضنى ومودة من يكرهنى ومسالمة من يعادينى الامور التى تنفر منها طبيعتى كل النفور وتبتعد عنها غريزتى كل البعد ليست تحت امكانى ولا أقدر ان أتحملها فيلزم لحل هذا الاعتراض شرح مسهب ولكنا نقتصر على عبارة أوردها يسوع المسيح منها يمكنا ان نستفيد حله وذلك انه دعانا نحن معشر البشر الى الدخول تحت طاعته وحمل نيره قائلا . تعالوا الىّ يا جميع المتعبين والثقيلى

الاحمال وأنا أريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لان نيرى هين وحملى خفيف (مت١١ : ٢٨-٣٠) فنستنتج من هذه الدعوة الالهية ان سيدنا وربنا المسيح لم يضع ناموسا فوق طاقة البشر وأمكانهم وليس ثقيلا وعسرا أومتعبا وشاقا بل سهل وهين وخفيف ومريح كما قال يوحنا الحبيب هذه محبة الله ان نحفظ وصاياه ووصاياه ليست ثقيلة (ايو ٥ : ٣) فمحبة الاعداء التى هى أول وصية من وصاياه وسنة من سننه ليست عسرة وشاقة. ألاترى أيها المؤمن ان المسيح علمنا شريعته بالقول وسلمها لنا بالفعل وبالاخص من نحو محبة الاعداء اذ تألم من أجل أعدائه تاركا لنا مثالا كى نتبع أثر خطاه (ابط ٢ : ٢١) والاغرب من هذا انه فى أثناء ماكان فى أشد العذاب ملوثا وملطخا جسده بدماء نكاله من مبغضيه واعدائه كان يصلى من أجلهم ويطلب عنهم لابيه السموى ألايحسب ذلك عليهم ذنبا قائلا أبت أغفر لهم لانهم لايعلمون ماذا يفعلون (لو٢٣ : ٣٤) وهكذا اذ شتم لم يكن يشتم عوضا واذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل (ابط ٢ : ٢٢) وقد اقتفى أثره وحذا حذوه شهيده المبارك القديس استفانوس رئيس الشمامسة اذ بينما كان على آخر نسمة من حياته جثا على ركبتيه وصلى من أجل قاتليه قائلا يارب

لاتقم

لاتقم لهم هذه الخطيئة (اع ٧ : ٦٠) فامعن نظرك والق طرفك وسرح عينيك وتأمل قليلا بمعاداة اليهود للمسيح واحسانه الفائق ورحمته الكثيرة من نحوهم اذعوض الخير قابلوه بكل نوع من الشر ونسبوا اليه كل صفة رديئة أما قالوا عنه انه محب العشارين والخطاة (مت٩ : ١١) أما ادعوا عليه بان معه شيطانا (يو ٧ : ٢٠) أمازعموا انه ببعلزبول يخرج الشياطين (مت ١٢ : ٢٤) اما هو فماذا كان يصنع أما كان يشفى أمراضهم العضالة ويبرى عللهم القتالة أما كان يخرج الشياطين ويطرد الارواح من المصابين زيادة على ذلك أما كان يظهر لهم المحبة القلبية ويقابلهم بالمودة الجلية ويتمنى لهم كل ماهو صالح ومفيد. أما اقتدت بأثره المقدس كنيسته الطاهرة فى كل عصر لاسيما فى الاجيال الاول كما نقرأ بتاريخ حياة الشهداء والقديسين الذين أحبوا قاتليهم بالروح والحق ورضخوا للصوت الرسولى وأكملوه. من قال انه ثابت فيه (المسيح) ينبغى انه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضا (ايو٢ : ٦) حتى بواسطة هذه المحبة الفائقة ناموس الطبع البشرى واحساساته الغريزية ابهروا وأذهلوا فلاسفة ذلك الزمان وأعجبوا حكماء عبدة الاوثان وأعجزوا أشهر أساتذة مدارس اليونان حيث دخلوا بيوتهم وأستمالوهم الى هذه الفلسفة التى فاقت كل علومهم وحكمتهم وردوهم من الضلال

الى الهدى ومن الظلام الى النور ومن الجهل الى العلم ومن الاعوجاج الى الاستقامة . فاعجب بها من محبة قد اقتادت الى حضن كنيسة المسيح كافة الاعداء الالداء وجذبت كانه بمغنطيس الى ساحتها قاطبة المبغضين الاشداء وارتفعت بهم الى ذروة المجد العليا

ولنفرض اننا نواطيئك ونوافقك فى أن محبة أعدائك سنة تفوق طبعك وتعلو قدرتك وامكانك لانك تنفر منهم مايجعه سمعك ويفعلون بك ماينفرمنه طبعك فهلا يحتقرونك ويتهمونك ويسبونك ويظلمونك ويجيرون عليك ويتقصدون أذيتك ويسلبون شرفك ويقابلونك بكل اهانة واحتقار

ولكن أسألك أخبرنى هل اذا قابلت أحدهم لا كلهم بالعداوة والبغضة تستطيع ان تجد راحة بضميرك وتقتنى سلامة بقلبك وتحصل هدوا بسريرتك وتملك سكينة فى فؤادك أوهل يعود عليك ذلك بالنفع والربح وبالتالى هل تجد شيأ ترتاح عليه ويصفو بمبالك ويسكن اضطرابك وبلبالك لا وعمرى بل بعكس ذلك فانك أولا تستمر دائما عرضة لمخاطر عذاب قلبك وألم تخز ضميرك ومكابدة حزن سريرتك وثانيا تزيد عدوك بغضة لك وغضبا عليك وأنت تصبح بالخوف والقلق والجزع والفرق اذ تعرض ذاتك لاخذ ثاره وانتقامه واغتياله وقساوته وربما وصل الامر الى

الى أن يفتك بك فتكا ذريعا فتموت موتا مريعا لكن اذا لاقيته بالمحبة لا بالعداوة واستقبلته بالمودة والمسالمة الا بالبغضة والمقاومة وترحبت به بالبشاشة والهشاشة وابتسام الثغر لا بالعبوسة والضجر فانك تشجب مقاصده الرديئة وتبدد عزم نيته وتجذب قلبه الطامح بسلاسل ودبه وتدين سريرته فتكبح فمه العاتى بلجام الصمت وتوثق عناد بغيه وشر طغيانه بعروة الربط وتحل عقد شر عصيانه وتفك قيود ضلاله وبهتانه فيرجع اليك طائعا ولامرك سامعا خاضعا مسلسلا بقيود الوجل ومعتقلا بربط الخزى والخجل وحينئذ يتم بك الامر الرسولى . ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقيه لانك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه (رو ١٢ : ٢٠) مقتديا باب الانوار الذى يشرق ضياء جته ويبرز سناء رأفته على الاشرار كالابرار ويفرغ سحائب خيراته وغيوث ووابل هباته ويصب كنوز صلاته ووفور بركاته على رؤوس العبيد والاحرار والصالحين والاخيار والنجسين والاطهار (مت ٥ : ٤٥)

فتربح سلامتك وتبلغ مقصدك ومرامك وتكسب الراحة والنجاح وتسير فى طريق التقدم والفلاح فارجوك ان تنعم نظرك أيها العابد المتدين بالدين المسيحى المنتسب للمسيح الذى تدعى ان المسيح قد وضع على عاتقك ناموسا شاقا وثقيلا وأرجوك ان تجيبنى

وتريني أي الحالتين أسهل عليك وأصلح لك وأيهما تعود عليك بالصلاح والفائدة ولتجاح رأيهما تريحك العاقبة الحميدة والطائلة السعيدة وأيتهما تبلغك الامن والسلم وتقيك الجور والظلم فلعمري لقد تجيبني بالبداهة وبدون تروٍ ان الاوفق لي المحبة لا البغضة والمودة لا العداوة والائتلاف لا الاختلاف والاتفاق لا الانشقاق والمسالمة لا المقاومة فاين احتجاجك لقد لعبت به ايدي سبا وذهب كما تذهب العصافة والهبا وظهرت الحقيقة الراهنة بالدليل وبرزت الثمرة الكامنة على سواء السبيل

هذا وبما ان المحبة نعتبرها كجنس تحته انواع بعضها صالح ومفيد وبعضها الاخر متلف ومضر فيلزم ان نبين صحيح أنواعها من فاسدها لان هذا أمر يتوقف عليه معرفة كبرى وفائدة فضلى أما للعالم الفهيم فثباتا واستتبابا وأما للجاهل فذكاء وادبا ورشدا وتهذيبا كما قال الحكيم تعطي الجهال ذكاء والشاب معرفة وتدبرا يسمعها الحكيم فيزداد علما والفهيم يكتسب تدبرا (أم ١ : ٤ و ٥) فانواع المحبة الصحيحة اثنان أحدهما من نحو الباري وثانيهما من نحو الانسان وقد انحصر بهما تمام الناموس وكماله وذلك ان أحد علماء اليهود تقدم نحو المسيح ممتحنا اياه ومجربا قائلا يامعلم آية وصية هي العظمى في الناموس فقال له تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه الوصية

الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء (مت ٢٢ : ٣٦-٤٠) فالنوع الاول أي محبة الله هي قائمة بحبه والاشتياق اليه فكرا ثم قولا ثم فعلا والدليل على ذلك متى ما انطبعت محبة الباري على قوالب قوى النفس انطباعا لا يمحى تضحى النفس وتصبح أسيرة بجملتها ومشغوفة بمحبة بارئها كانشغاف الحبيب بمحبوبه والعاشق بمعشوقه ثم تجتهد بعد ذلك ان تصب ما في قالب أشدها من السعي والهمة والنشاط أفعالا لترضي هذا المحبوب واعمالا مسرة تجتذب بها امياله وعواطف ارادته من نحوها ليستمر مشغوفا بمحبتها كما انها مشغوفة بمحبته أيضا ومتى ماشعرت بأن محبوبها مال بعواطفه الودية اليها تأخذ بالاحتراس والانتباه وتزداد بالافعال المرضية الصالحة حتى تأتي بكامل عواطفه الحبية من نحوها وتزيدها ثباتا وتجعلها مرتبطة برباطات متينة وذلك انها تفتش وتبحث عن الطرق الموصلة لهذا الغرض والاسباب الجاعلة علاقات المحبة متينة ما بينها وبين معشوقها ومحبوبها فتكملها وتستقصي عن الطرق التي اذا سلكتها وسارت فيها ينفر منها ويمقتها ويبتعد عنها مع بسا فتجتنبها وتتجاوز عنها وتحيد عن الامور والاسباب التي اذا استعملتها تحضى مكروهة لدى جنابه

العالى واذا شعرت وعلمت النفس ان انعطاف قلب محبوبها وانصباب عواطفه المحبية وميل رغبته الودية لاحرزها وتحظى بها الابواسطة حفظ وصاياه المناسبة على نوع ما لذاته القدوسة واجتناب وتجاوز نواهيه المخالفة على خط مستقيم لصفاته الالهية حينذاك تتأهب وتأخذ بالاستعداد لاتمام مايلائم ارادته وتعمل كل الاسباب وتسير بكل الطرق اللازمة لهذا الصدد فتتعلم ان تحب محبوبها السامى فوق جميع الموجودات ولاتشرك معه محبة آخر (خر٢٠ : ٣) وان تعترف به وتقر بوجوده وتشكر آلائه وجوده رغما عن كافة العوائق والموانع والبوائق (مت١٠ : ٣٣) وان تتعبدله ولا تسجد لغيره على سبيل العبادة اذ العبادة واجبة لذاته الكريمة (مت٤ : ١٠) وان تحترم وتكرم اسمه وتعظم ذكره وتطراه مديحا ولا تنطق به بجميع الامور والاحوال الا على سبيل التسبيح والتقديس والتعظيم والتمجيد وخصوصا لاتحلف به البتة (مت٥ : ٣٤) وتحترم الايام التى هطلت فيها غيوث مراحمه الحنانية وأمطرت سحائب بركاته ووفور نعمته الالهية عليها أى تكرم الاعياد والمواسم وتمتنع عن كل عمل يعيقها فى تلك الايام عن تعظيم وتقديس ذاته الالهية وتلازم بيوته المخصصة لعبادته وتقديسه وخدمته (خر٢٠ : ٨)

فبواسطة

فبواسطة ذلك تستطيع ان تصير ذاتها مناسبة على نوع ما ومماثلة ذاته المباركة باعراضها عن كل ماينافى صفاته وتتمكن ان تقتنى صفات تحاكى وتجارى صفاته فتقتنى القداسة بذاتها لان حبيبها قدوس (ابط١ : ١٥) والنقاوة والطهارة والبرارة لانه بار وطاهر ونقى (مز١٤٥ : ١٧ اى٤ : ١٧) والصدق والامانة لانه صادق وأمين (اش٤٥ : ١٩ و٢٣ اكو١ : ٩) والرحمة والصلاح لانه رحيم وصالح (لو٦ : ٣٦ مت١٩ : ١٧) فتى ما اقتنت النفس هذه الصفات الحميدة وما يحاكيها ويناسبها حينذاك تجذب عواطف وأميال البارى اليها كل الانجذاب فتزورها النعمة ويحل محبوبها داخلا منها فيصير الاثنان واحدا لان النفس تصير مسكنا وبيتا لله العلى (يو١٤ : ٢٣) وهيكلا للروح القدس (اكو٦ : ١٩) ويصبح كل من الحبيب والمحبوب يتمم ارادة ومرغوب الآخر فهنالك النفس تحظى بلذة تفوق عن كل لذة وتحرز نعيما لايجارى ويحاكى فالحاصل ان الانسان اذ حوى المحبة الحقيقية من نحو الله يرتقى أعلا درجة وأسمى ذروة من الفضيلة ويسهل عليه عمل كل فعل صالح ومرضى محبة بخالقه وباريه ورازقه فيعوض من أجل ذلك أمواج التجارب ويقتحم معامع الخطوب والمصاعب صابرا على كل أرشاق ومحتملا كل تعب شاق ومصعب

ولقد حصرت أفاضل البيعة عمل المرء الفاضل بثلاث رتب فقالوا ان الناس على اختلاف سعيهم واجتهادهم منهم من يعمل عملا فاضلا خوفا من الوقوع بدينونة الله العادلة وقصاصه الاليم وعقابه المضيم وعذابه الدائم وعن ذلك قال الرسول مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى (عب١٠ : ٣١) وهذه الرتبة أدناهم رتبة لان الفاعل يكون بمقام العبد الذى يخاف من سيده فيعمل ما يعمله عن خوف ورعب ليرضى سيده ويخلص من عقابه وقصاصه وعذابه ومنهم من يعمل عملا صالحا قصدا ورغبة بنوال الاجر والجزاء والمقابل والثواب عوض اعماله واتعابه وهذه الرتبة أوسطهم رتبة الاترى ياصاح ان الانسان هنا يكون بمقام الاجير الذى لايخدم سيده الا من أجل نواله الاجرة وقد شبه أصحاب هذه الرتبة المسيح بفعلة الكرم الذين اتفق معهم صاحب الكرم ان يعطى كلا منهم دينارا واحدا عوض شغله فى الكرم طول النهار (مت٢٠) ومنهم من يعمل عملا صالحا على سبيل المحبة لاغير بدون قصد آخر كما أبنا وهذه الرتبة أعلاهم وأعظمهم وأسماهم رتبة حيث اذا كانت بالروح والحق لايمنع صاحبها أو يصده عن محبة الله أمر من الامور مهما يكن عظيما ومهما وعنها قال الرسول من يفصلنا عن

محبة

محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف كما هو مكتوب اننا من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا مثل غنم للذبح ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا فانى متيقن انه لاموت ولا حيوة ولا ملائكة ولا رؤساء ولاقوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولاخليقة أخرى تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا (رو٨ : ٣٥-٣٩) لان العامل عمله الصالح بمحبة الله لايبقى عنده خوف منه بل يعمل كل مايعمله بدالة وقد جرت العادة ان الدالة تطرد كل رعب كما قال الرسول لاخوف فى المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج لان الخوف له عذاب وأما من خاف فلم يتكمل فى المحبة (ايو٤ : ١٨) فيرتفع مثل هذا عن مقام العبد الذى يخاف من سيده وعن رتبة الفاعل الطالب الاجرة وحينئذ يصبح برتبة ومقام الابناء الوارثين كما قال يوحنا الحبيب انظروا اية محبة أعطانا الاب حتى ندعى أولاد الله (ايو٣ : ١) وأما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا أولاد الله أى المؤمنين باسمه (يو١ : ١٢) ومن ثم يسمع الصوت المبهج المفعم سرورا ياأبنى أنت معى فى كل حين وكل مالى فهو لك (لو١٥ : ٣١)

والنتيجة ان فضيلة المحبة أعظم من كل فضيلة ومن اقتناها

فقد اقتنى الاله نفسه ألا ترى ان الله ذاته محبة (ايو٤ : ٨) وان الله الذى هو محبة لا أعظم منه شئ ولا شبيه اله بذاته أحد * ليجتهد كل منا معشر المتدينين أن يقتنى ويحوز هذه الفضيلة الكاملة التى هى معين يفيض منه أنهر مياة الحيوة الابدية وتجرى لتروى كافة أنواع الفضائل الصالحة المرضية . ولكيما يكون المؤمن محبا بالروح والحق يقتضى ان يحتفظ ويقوم باتمام ثلثة شروط الاول ألا يخاف لان محبة الله تطرد الخوف من ضمير الانسان وتطرح الى خارج الانزعاج والقلق وتنفى الرعب والفرق كما قرأت . وقد خاطب الاب أنطونيوس تلاميذه قائلا يا أولادى أنا لست أخاف من الله فتعجبوا من كلامه هذا وسألوه لماذا يا أبانا لاتخاف من الله فاجابهم لانى أحبه والثانى أن يحفظ الوصايا فكرا وقولا وفعلا كما قال المسيح له المجد الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى (يو ١٤ : ٢١) والثالث والاخير ان يحب أخاه المنظور لانه ان قال أحد انى أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب لان من لايحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر ان يحب الله الذى لم يبصره (ايو٤ : ٢٠) واليه نعنى بالنوع الثانى من المحبة أى محبة القريب

ان محبة القريب لاتختص باناس دون اناس كما كان يفهم شعب اليهود

[اليـ]ـهود بل تعم جميع الناس على حد سوى على اختلاف [أد]يانهم وافتراق مذاهبهم وهى ناتجة ضرورة عن محبة الله [فـ]ـضلا عن كون محبة الله يتوقف كمالها على حفظ وصاياه ومن ضمن [و]صاياه الامر بمحبة الغير حتى الاعداء كما قرأت فمن يحب الله يلتزم [ان] يحب أعماله أى خليقته وبما ان الانسان أعظم وأشرف [خـ]ـليقة الله كونه مخلوقا على مثال صورته الازلية وشبه ذاته [الا]لهية فيضطر ان يحب المؤمن خليقة الله الشريفة أكثر من [جمـ]ـيع الكائنات وهذا الامر ناموس طبيعى قد فطرت عليه جبلة [كل] انسان فلا يحتاج الى بيان أكثر غير ان هذا [النا]موس فى بعض الاحيان ومن أجل بعض أمور لايدركه [كل] أحد فيتلافاه الناموس الفاضل الادبى القائل أحبوا [أعـ]ـداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل [الذ]ين يسيئون اليكم (مت ٥ : ٤٤)

لاغرو كان يفهم بنو اسرائيل ان محبة القريب قاصرة على [محـ]ـبة قريب العصب وقريب الدين والملة ولكن المسيح له [المجـ]ـد أماط عن عقولهم برقع الضلالة وعرفهم ان القريب هنا بمعنى [قر]يب الخلقة والنوعية فمعنى تحب قريبك أى تحب أخاك الانسان [المعـ]ـادل والمساوى معك بالانسانية المخلوق نفسا وجسما كما انك

ذو نفس وجسم وذلك مما أورده له المجد بهذا الخصوص
حكاية عن ذلك الانسان الذى نزل من اورشليم ووقع بين
اللصوص فأثخنوه جروحا فاجتاز مقابله الكاهن واللاوى
القريبان منه بالجنس وتركاه ومر سامرى فوجده منطرحا فحمله
على دابته واهتم به واعتنى اعتناء لامزيد عليه اذ أحضره الى عند
طبيب ليعالجه وأنفق عليه من ماله (لو ١٠ : ٣٠)

فالمحبة بحسب تعليم المسيح لاتقتصر على البعض والبعض الاخر بل
تشمل جميع الناس . والمؤمن اذا قام بواجبها كما ينبغى فانه يأدى
ماعليه من جميع الواجبات الادبية من نحو قريبه وذلك من
يحب أخاه بالحق يجتنب من نحوه كل أمر مسبب له الاهانة
والاحتقار والسماجة والعار و يستعمل كل مايعود عليه
بالاكرام والشرف والاحترام حتى ان أخطأ بحقه وعاب
بشرفه ومقامه فانه يتأنى عليه ويطول روحه ويسامح هفواته
ويتجاوز عن غلطاته أما قرأت ماقاله بطرس الرسول لتكن
محبتكم بعضكم لبعض شديدة لان المحبة تستر كثرة من الخطايا
(١بط ٤ : ٨) والمسيح ان لم تغفروا للناس زلاتهم لايغفر
لكم أبوكم أيضا زلاتكم (مت ٦ : ١٥) من يحب أخاه
يتحاشى عن تدنيس عرضه ويتنزه عما يخل بشرفه ويوجب له
توطيسة وتنكيس رأس بين اخوته ويحفظ ذاته مع أهل بيته
بالطهارة

بالطهارة والقداسة (خر ٢٠ : ١٤) من يحب اخاه لا يتقصد
سلب نعمته ولا يختطف خيره وامتعته ولا برايه ويجتنب الغش
والخداع والمكر والمخاتلة وكل اوجه الحرام خصوصا بالأخذ
والعطاء وانواع المعاملة التجارية والصناعية ويستعمل معه الصدق
والامانه وكلما يعود عليه بالخير والصلاح واذا افتقر يسد
فاقته ويقوم بمؤونة حاجته (خر ٢٠ : ١٥) من يحب أخاه
لايخترع ويتقول عليه كلاما باطلا ولايوشى به ويجتنب النميمة
بحقه ويتجاوز دينونته ولايتسبب باذيته ولايتعرض لشره ومضرته
ألاترى . ان الذى يظن انه دين وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع
قلبه فديانة هذا باطلة (يع ١ : ٢٦) بل عوض ذلك يحافظ
على أخيه كما يحافظ على نفسه ويحامى عنه ويذب عن شرفه
ويحب صالحه ويقصد فائدته والى ذلك أشار السيد ما من حب
أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لاجل أحبائه (يو ١٥ : ١٣)
من يحب أخاه لايشتهى ماتملك يداه ولايحسده على قنيته وماله
ورتبته وجلاله ولايميل بقلبه الى شئ من جميع مايحوزه من القنية
والغنى والثروة ألا ترى ان المسيح أوصى قائلا ان شككتك
عينك فاقلعها والقها عنك (مت ٥ : ٢٩)

فيحصل ماتقدم ان المحبة الكاملة تحتوى على كافة المناقب
الادبية والواجبات الانسانية والفروض اللازمة على

المؤمن من نحو القريب فاحتفظ أيها المؤمن المسيحي الارثوذكسي بهذا المعين الصافي والينبوع الشافي الذي يمص لك منه أصناف الحكم النقية واحرص على هذه الروضة المزهرة المثمرة والحديقة الزاهية النضرة التي يجني منها داني القطوف الادبية واحرز وحز هذه الام الشفوقة الحنونة وأخذ بهذه الجوهرة اليتيمة المكنونة التي هي عنصر الحكم والاداب الجيدة والمناقب الشريفة المجيدة

أجل أخوتي الفصحاء وأترابي الاحباء وساداتي الادباء من أين يتأتى لنا ان ندرك الخلاص ونحوز بنجاة أنفسنا الا بواسطتها والتمسك بعراها الوثقى فهل من طريق آخر نسير فيه ثم نخلص بالايمان ولكن ليس الايمان البسيط بل المركب أي الايمان العامل بالمحبة (غلا ٥ : ٦) ثم ننجو بالرجاء الثابت والاحسان والاتضاع والاستغفار ولكن ان لم نحز فضيلة المحبة فغدونا كنحاس يطن أو صنج يرن (١ كو ١٣ : ١) بل لا يتوقف على محور المحبة خلاصنا فقط بل ايضا نجاح وتقدم بلادنا وتمدن وطننا العزيز ونمو مملكة المسيح الروحية وثبات كنيسته المقدسة وازدياد بنيها وهدايتهم الى اقوم سبيل وارشادهم الى اسوى طريق واجلى دليل يتوقف على مدارها افتتاح المدارس والمكاتب المسيحية التي بواسطتها تنتشر وتذاع العلوم والحكم والاداب الحقيقية والمعارف الالهية

في

في كل مكان وبكل زمان بين الداني والقاصي والطائع العاصي حتى تتربى الاطفال وتتهذب الصبيان وتستنير الشبان وتتفقه الشيوخ وتتطهر الحدثان فيرتفع شأن الكنيسة وتقوى شوكتها ويعلو قرنها وتفتخر أولادها ويرتقون الى اسمى درجة من التمدن . فلنمتحن أيها الاخوة ضمائرنا ونفتش مخادع قلوبنا ونرى ونختبر ذواتنا ونرمق بعين الانتقاد هل حوينا هذه الخلة وحافظنا على هذه الحلة كلا لقد تحجبنا نياتنا وسرائرنا لا يوجد لها أثر البتة اذ خمد سعيرها وانطفت نارها وبردت حرارتها وأضحت كالمياه الفاترة وكأنها كادت تتلاشى من بيننا اذ تنازلت الى أقصى درجة من الانحطاط وكلما تنازلت تنازلنا نحن أيضا معها كما نشاهد في هذا العصر

لنسافر اخوتي بالفكرة الوقادة ونسرح نظرنا قليلا لنتصفح تواريخ اجيال آبائنا وجدودنا المسيحيين ونتعلم منهم الثبات على محور المحبة والتمسك بعراها لنقرأ تاريخ حياة تلك الكنيسة المباركة كنيسة الرسل وتاريخ حياة الشهداء وتاريخ الاجيال الاولى بأسرها ونقابلها هذا الجيل الحالي ونرى ما بين كلا الحالتين من الفرق الخطير حيث كيف كانت تلك وكيف أصبحت هذه حقا تحزن قلوبنا وحقا تكتئب ضمائرنا وحقا تتفتت أكبادنا وتذرف أعيننا دما لا دموعا . أما قرأتم أخوتي وجوب محبة الاعداء والغرباء

ومسالمة المبغضين ومكافأة الشر بالخير ومقابلة اللعنة بالبركة ولكن انظروا هل حفظنا حقوق المحبة من نحو الاصدقاء والاقارب والاهل وأبناء طائفتنا أما هذا دليل ابتعادنا عن خطة الاستقامة الاتعلمون اننا نجازى الخير بالشر والاكرام بالاحتقار ونقابل السلامة بالملامة مع بعضنا البعض فمن يا ترى يتبصر بهذه الحال المستحقة الرثاء ولا يحزن كل الحزن و يكتئب كل الاكتئاب

فاخوتى لنتنبه من الغفلة ولنتيقظ من النوم ولنتقدم من المقود ولنجد فى سبيل الود نحو القريب والبعيد نحو الوطنى والغريب لكى نحيى مع ذلك الذى أحبنا وننتقل من الموت الى الحيوة (ايو ٣ : ١٤)

والنتيجة ان نوعى المحبة هما تمام الناموس المسيحى الفاضل ومصباح الحيوة الدينية وأربون الخلاص وموضوع الاختصاص وطريق النجاة ومن تمسك بعراهما فقد نجى من افات العالم الحاضر وفاز بنعيم المزمع مع الابرار والقديسين والشهداء الفائزين* أما أنواع المحبة المضرة والمتلفة فهى نقيض ذينك لان نوعى المحبة المطلوبة تفيد ذويها سعادة الحياة الحاضرة بالانتصار على نكبات ونوازل الزمان وخطوبه وعواطبه وكروبه ثم تأتى به الى مقر

السعادة الابدية والخلود بالدار السرمدية أما هذه فتضر بجسده ونفسه فبجسده اذ تعرضه لمخاطر لا يتوقعها ولا تخطر على باله وبنفسه حيث تسلب منها لذة الدين المسيحى وتخيب أمالها وتقطع رجاءها من نوال مواعيده الصادقة وخيراته المحققة فيقتضى لكل مؤمن مسيحى عابد الله بالروح والحق ان يعرف يميز بين صحيح نوعى المحبة من فاسدها فصحيحها كما تقدم وفاسدها ما يأتى. الاول. محبة المال محب المال يضر بصالح ذاته دنيا ودينا فدنيا لانه يخاطر بنفسه ويضعها على قارعة طريق التجارب والاوصاب والمشاق ان لم تكن ظاهرة فخفية وعن هذا نبهنا الرسول قائلا اننا لم ندخل العالم بشئ وواضح اننا لا نقدر ان نخرج منه بشئ فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتفى بهما والذين يريدون ان يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك لان محبة المال أصل لكل الشرور (اتى ٦ : ٧-١٠) ودينا فيبتعد عن محبة الاله نفسه لانه لا يقدر أحد ان يخدم سيدين أما ان يبغض الواحد ويحب الاخر أو يلازم الواحد ويحتقر الاخر لا تقدرون ان تخدموا الله والمال (مت ٦ : ٢٤) فمن يعبد المال أى يحبه تسلب منه عبادة ومحبة الله الذى وحده له يحق المحبة والعبادة فوق جميع الاشياء. الثانى* وفى هذه الدرجة محبة السكر فانها تعادل

وتساوى رذيلة تلك ان لم تتق عنها أيضا فان تلك تبعد ذويها
عن محبة الاله وعبادته وهذه تجعل مرتكبها فى مصف الحيوانات
الغير الناطقة التى لاتعرف لها الها ولامعبودا

الثالث وهاذل تينك محبة الزنا ومضاجعة الذكور التى تجعل
مرتكبها بيتا للشيطان ومأوى للارواح الشريرة بعد ان يكون
محلا للثالوث الاقدس وهيكلا للروح القدس (١ كو ٦ : ١٥
- ٢٠) *الرابع والاخير محبة الطمع التى هى عبادة أوثان
(كو ٣ : ٥) وكما ان عابد الوثن لااله له ولا معبود بالحق فكذلك
الطماع والظالم والمغتصب مال غيره والحسود والشره والشهوانى
ليس له اله ولا معبود فنسأل الاله تعالى ان يسبى أنفسنا الى
شهوته ويربط قلوبنا بمحبته ويرسم على صفايح أفئدتنا مخافته
ويغرينا الى صدق عبادته

ثانى فرض

قد شرحنا أول فرض من فروض العبادة الا وهو المحبة وعبرنا
عما يخصها من الواجبات والشروط من نحو الله ومن نحو
القريب وبما ان المحبة أهم ماتقوم به وتتم بواسطة الصدقة
والاحسان والرحمة والرأفة رمنا ان نجعل ذلك فرعا قائما بذاته
كأنه عامود ودعامة تستند عليهما المحبة من نحو القريب وهو

حسى

حسى ومعنوى فلنأخذ بالتعبير عن الحسى ثم نليه بالمعنوى
أيضا ان الرحمة أو الصدقة طبيعية ووضعية فطبيعية هى ملكة
موجودة بفطرة الانسان فضلا عن وجودها بطبيعة الحيوان
أيضا كما يهدينا الى ذلك دليل الاستقراء فاننا اذا لحظنا برمق
البصيرة الى أجناس الحيوانات والطيور وغيرها لوجدنا كل جنس
منها يألف الى بعض كل الالفة ويعتنى ببعضه كل الاعتناء ويهتم
بعضه بالبعض الاخر كل الاهتمام ولولا ضيق المقام لسردنا لك
بعضا من تاريخها ولكنا اقتصرنا على الاشارة وكأن لسان حالها
يعرب عن حكمة البارى ورحمته الغزيرة الذى أوجد بها هذا
الاحساس وهذه الصفة الغريزية لنظام مبدوعاته ونموها وابقائها
بعالم الكون والوجود ووضعية أى نعم اننا نعترف ولاننكر ان
طبيعة الانسان موجود فيها ميل شديد للرحمة والرأفة ولكن
هذا الميل أكثره بطبع الحيوان والداعى لذلك لما كان الانسان
موجودا فيه مصباح يستضىء به ونور يرتشد به و يهتدى الى
أجود سبيل وأقوم طريق ويعرف به ان يميز الخير من الشر
ويفرق الصلاح من الطلاح فكان مستطيعا ان يقوم بالواجبات
والفروض المكتسبة بالعلم والتصور واكتفى بها دون الاحساس
الغريزى ولهذا علمنا ان ناموس الحيوان البسيطبيعى يعمل
كلما يعمله بالوحى الغريزى المفطور والمجبول عليه وناموس

الانسان وضعى يعمل كلما يعمله بالشرع والسنة ان أمرا وان نهيا كونه يقبل الناموس الذى ليس له ويكتسبه بالدرك والعقل بالتدريب والتعليم والتهذيب كما هو معلوم لدى من طالع عجائب الحيوانات وغرائبها وقابل حالها بحال الانسان

ولما كان ناموس الانسان وضعيا واكتسابيا موضوعا من الله لارشاد الانسان وانتظام الكون (لان الناموس أما مدنيا وأما دينيا فمن لايستقيم بالدينى رغبة منه يستقيم بالمدنى رغما عنه وكلاهما موضوعان من الله (ابط ٢ : ١٤) وبالاخص لكنيسته المقدسة ومملكته الروحية الدائمة وكان من ضمن هذا الناموس الالهى الوصية من أجل الرحمة لمرافقة الفقراء والمنقطعين ومساعدة الارامل والمساكين ومعاضدة الايتام والبائسين اقتضى ووجب علينا ان نعبر عن سموهذه الفضيلة قاصدين خير المسنين الابدى وفائدتهم الدائمة وراغبين سد احتياج ذوى الفاقة وجبر خواطر المنكسرين وتعزية قلوب الحزناء

لقد قلناسابقا ان النفس اذا مالت الى محبة الاله تعالى فتجتهد كل الاجتهاد وتسعى كل السعى كى تقتنى مرضاة باريها بواسطة قيامها باجراء أوامره وتركها نواهيه ثم تحظى على نوع مناسبة ومماثلة صفاته الالهية الشريفة وكل ذلك لايتأتى الابدرسها فى ناموسه المقدس ألاترى ان النبى قال ناموس الرب كامل يرد النفوس

النفوس (مز ١٩ : ٧) ومن الامر المعلوم لم يضع الله ناموسا مخالفا لصفاته الكاملة فاذا هذبت النفس بناموسه ودرست تعاليم صفاته وحفظتها واذا حفظتها تأخذ بالمباشرة للعمل بما يناسبها كيما تتقرب لعرش جلاله وتحظى بالزلفى امامه ولما كان أجل وأفضل صفاته الحسنى صفة الرحمة على عباده والرأفة على مبدوعاته على اختلاف أجناسهم وتنوع مللهم وتفرق أديانهم ومذاهبهم اذ يرسل بركاته فى أحيانها وينشر سرادق خيراته فى أوقاتها وأوانها ويشرق شمسه على الاخيار ويمطر غيثه على الابرار والاشرار كانت النفس ملتزمة ان تتشبه بخالقها وتكمل وتقتنى هذه الخلة الفاضلة والصفة الكاملة لانه قال جل وعلا. كونوا رحما كان أبا كم أيضا رحيم (لو ٦ : ٣٦)

لاسيما ان احساسات الشفقة تعلو وتزداد وترتفع الى أعلى ذروة من التصاعد فى أزمنة الصوم والانقطاع عن المواكيل وبعض الاطعمة الفاخرة ألاترى ان الانسان العابد فى ذلك الوقت حينما يشعر بالجوع ويحس بذله وانخفاض جسمه وليونة قلبه تتداخله احساسات الشفقة والحنو والرأفة و يتذكر كربه ومقدار ذل الفقير وانكسار نفس البائس وذى الفاقة وجوع الجائع ومسكنة المنقطع وافتقار الارمله واليتيم فيمتلئ من الغيرة المسيحية حينئذ ويطوف ملتمسا الفقير ليرحمه يجول طالبا المسكين

لتراف عليه يعزى الحزناء ويجبر قلوب المنكسرين يزور المرضى والمحبوسين ويساعد ذوى الاحمال الشاقة والمتقلين فهذه فضيلة المؤمن المتدين فى زمن الرياضة وهذه أعماله المسيحية وبالاخص اذا تامل بمواعيد الله الصادقة اليه والمكافأة الجزيلة جزاء احسانه وثواب اعماله زمنيا وأبديا

فزمنيا يتذكر ان الله جل اسمه وتعالى ذكره يعوض المحسن اضعاف أحسانه فيبارك بعمل يديه اذ يزيده خيرات وأفرة وأرباح متكاثرة فلا ينتقص بالاحسان ماله بل يزداد وينمو ويثبت بيته راسخا الى اجيال وترث أبناؤه خيراته حتى ذكره لايندرس ولايمحى بل يدوم مادامت الشمس. قال البارى جربونى بهذا قال رب الجنود ان كنت لا أفتح لكم كوى السموات وافيض عليكم بركة حتى توسع (ملا ٣ : ١٠) وقال داود النبى سعيد هو الرجل الذى يتراف ويقرض يدبر أموره بالحق لانه لايتزعزع الى الدهر الصديق يكون لذكر ابدى (مز ١١٢ : ٦) واليوم كله يرحم ويقرض الصديق ونسله للبركة (مز ٣٧ : ٢٦)

وابديا يتذكر ان الله يعوض المحسن ليس فى هذا العالم فقط بل وفى المزمع ايضا حيث يتوجه باكليل لايضمحل ويجازيه بفرح لايبدل وينيه بنعيم لايزول ويورثه ملكوتا لايحول وينظمه

بصفوف

بصفوف الشهداء المختارين والابرار والقديسين ألا ترى ان الانسان باحسانه يقوم مقام الخالق حيث يتصدق على خليقته ويتراف على صنعة يديه فكانه يقرض الرب كما قال الحكيم من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه (ام ١٩ : ١٧) لانه يرحم الفقير ويترأف على الارملة ويشفق على المسكين فتذكر صدقاته قدام الله (اع ١٠ : ٤) وبره قائم الى الابد (مز ١١٢ : ٩) يشبع بطون الجياع ويقيت المساكين ويربى الايتام ويعتنى بالمرضى ويهتم بالمنقطعين والرب يعد ويهيئ له كنزا فى السما محفوظا من غائلة السراق وحيل اللصوص وفساد الارضة والسوس (مت ٦ : ٢٠) ألا ترى ايضا ان المسيح كيما يظهر فضل المحسن قد اقام ذاته القدوسة مقام المستعطى وعادل نفسه بالفقير والمسكين بقوله الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتى هؤلاء الاصاغر فبى فعلتم (مت ٢٥ : ٤٠) ووعده بانه يجلسه من عن يمينه مع مصف الابرار ويناديه بجملتهم تعالوا يامباركى ابى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تاسيس العالم لانى جعت فاطعمتمونى عطشت فسقيتمونى كنت غريبا فاويتمونى عريانا فكسوتمونى مريضا فزرتمونى محبوسا فاتيتم الى (مت ٢٥ : ٣٤-٣٦) فليفتكر كل منا معشر الاخوة المباركين ويتامل بمواعيد المسيح الصادقة ويرسم على الواح قلبه كلمات

الرسول ولنتادى بها بعضنا لنصنع صلاحا ولنكن أغنياء في اعمال صالحة ولنكن اسخياء في العطاء كرماء في التوزيع مدخرين لانفسنا اساسا حسنا للمستقبل كي نمسك بالحيوة الابدية (اتى ٦ : ١٨و١٩)

لنشترك معا بعمل هذه الخيرات العظيمة لنزرع بذار الرحمة في أراضي قلوب الفقراء كيما نحصد ثمار البر في أوان الحصاد لنرحم المسكين كيما نرحم ونقبل في المظال الابدية (لو ١٦ : ٩) لاننا قد سمعنا ان الحكم هو بلا رحمة لمن لا يعمل رحمة (يع ٢ : ١٣) لنترع مصابيحنا بزيت الشفقة والاحسان والصدقة كيما نشترط بسلك الخمس عذارى الحكيمات ونقابل بها الرب يسوع وهي متشعشعة وساطعة الانوار وندخل بها الى العرس الابدي والفرح السرمدي والنعيم الذي لايزول ولا ينقضي (مت ٢٥ : ٩و١٠)

والحاصل ان فضيلة الرحمة ثوابها جزيل وجزاؤها جليل وهي فرض واجب على كل مؤمن متدين بالدين المسيحي الحقيقي لان الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه افتقاد اليتامى والارامل في ضيقتهم وحفظ الانسان نفسه بلادنس من العالم (يع ١ : ٢٧)

وقد يعترض على هذا القانون ويقال ان الرحمة فرض واجب ولكن

ولكن هل يلتزم بها الفقير كما يلتزم الغنى واذا التزم فمن أين له ان يقوم بواجبها اذ لا يفضل عنده شئ من بعد قضاء حاجاته الضرورية ولوازم بيته

فالديانة المسيحية تحل هذا الاعتراض بكل سهولة وحله هو لنفرض ان انسانا فقيرا مدقعا صفر الايدي لايمتلك بسعيه الا مايقوم بأوده يوما فيوما فهل يعسر عليه فعل الرحمة كلا لان الله لايراعي كثرة أوقلة مقدار الرحمة لكن يراعي حسن فعلها ومصدره أي سريرة الفاعل وميل وانصباب ارادة المحسن أما تعلم ان السيد قد منح الغبطة وأعطى السعادة لتلك الارملة المسكينة الفقيرة التي ألقت فلسين في الخزانة وحسبهما لها فعلا جيدا دون كافة الاموال الجمة التي كانت الاغنياء تلقيها فضلا عنهم بقوله للرسل الكرام الحق أقول لكم ان هذه الارملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا في الخزانة لان الجميع من فضلاتهم ألقوا وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها كل معيشتها (مر ١٢ : ٤٣و٤٤) فالمسيح اذا ما كان ناظرا الى صدقتها القليلة المقدار بل الى خلاصة نيتها وانصباب محبتها وحرارة محبتها الى فعل الرحمة فالله اذا لايريد من المؤمن ولو كان فقيرا وفي آخر درجة من الانحطاط الا الضمير الصالح والقلب المستقيم والميل الثابت بالنسبة الى فعل الرحمة حتى مهما فعله ولو ذرة ولو بارقة يعده

عملا عظيما بما انه صادر عن رغبة وقادة وحرارة حادة ألا ترى ان المسيح قال من سقى أحد هؤلاء الصغار كاس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم انه لا يضيع أجره (مت ١٠ : ٤٢)
الثاني ان فعل الرحمة لا ينحصر باعطاء المال على اختلاف أنواعه بل يتجاوزه ويشمل كل عمل صالح وسير حسن من نحو الفقير أرأيت زيارة المرضى وافتقاد المحبوسين وتسلية الحزناء ومأوى الغربا وتعزية ذوى الشدائد والضيقات فهى لاجرم أفعال رحمة

الثالث والاخير ومن هذا القبيل الهداية والارشاد والتعليم والتدريب وهو الذى نعنى به الاحسان المعنوى * وعنه نقول ان فقر الدنيا بالنسبة لفقر الدين لا يعد فقرا لان ذاك فقر زمنى وهذا فقر أبدى فذاك فقر الجسد واحتياجه أما للكسوة أو للمعيشة لقيامه الوقتى وهذا فقر النفس واحتياجها للنعمة الالهية التى اذا عدمتها بهذه الحيوة لا تحصلها بالاخرة وبمقدار ما النفس أشرف وأفضل من الجسد والجسد أفضل من اللباس (مت ٦ : ٢٥ بمقدار ذلك يكون الاحسان الى النفس عظيما وساميا وفاضلا لان فقر النفس قائم باحتياجها الى استماع كلمة الله التى تتوقف عليها حياتها هى كما قال النبى أرسل جوعا فى الارض لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء بل لاستماع كلمات الرب (عا ٨

عا ٨ : ١١) فمن أحسن اذا الى النفس الفقيرة احسانا مصحابنية سليمة وسريرة مستقيمة يصنع مبرة عظيمة وفضيلة جسيمة كما نبهنا الرسول أيها الاخوة ان ضل أحد بينكم عن الحق فرده أحد فليعلم ان من رد خاطئا عن ضلال طريقه يخلص نفسا من الموت ويستر كثرة من الخطايا (يع ٥ : ١٩و٢٠) [illegible] أيها المتعبد ان لم يكن لك مال ولك عوضه علم وارشاد واستقامة ورأيت أخاك المؤمن فقيرا منها ومحتاجا اليها فاسدد عوزه وأنفق من كنزك هذا المعنوى فيكون لك كنز فى الاعالى ويحتسبه لك الاله عملا بارا. اذا رأيته ظامئا فاسقه من مياة الحيوة وأروه من ينبوع الخلاص الفائض منك وأزل ظمأه لانه مكتوب من آمن به تجرى من بطنه أنهار ماء حى (يو ٧ : ٣٨) وخاطبه بلسان المسيح قائلا من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الابد بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حيوة أبديه (يو ٤ : ١٤) فحينئذ يروى من دسم بيتك ومن نهر نعمتك تسقيه (مز ٣٦ : ٨) واذا رأيته جائعا فادخله الى مائدة الخلاص وأطعمه من خبز الحياة (لو ١٤ : ٢١) وناشده داعيا بصوت الوحى أيها العطاش جميعا هلموا الى المياة والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا

بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبكم لغير شبع استمعوا لى استماعا وكلوا الطيب واتلذذ بالدسم أنفسكم (اش ٥٥ : ١و٢) فحينذاك يشبع من المن السموى اذ يتناول كاس الخلاص وباسم الرب يدعو (مز ١١٦ : ١٣) واذارأيته عريانا فالبسه لباس العرس (مت ٢٢ : ١١) كى يتكئ مع الختن السموى ومدعويه مجلببا بالحلة الاولى والخاتم فى يده والحذاء فى رجليه (لو ١٥ : ٢٢) حتى تفرح به الملائكة فى السماء (لو ١٥ : ٧) واذا رأيته غريبا وعائما على ظهر بحر هذا العالم الطامى فانتشله من الوهق ومخاطر الغرق وأدخل به داخل سفينة الخلاص ومينا النجاة وأربونها الخاص. واذا رأيته مريضا بالمرض العضال فاحمله على عاتقك والقه امام طبيب الانفس كى يصبه ويصفيه فى قالب الاعتراف كما يصفى الذهب بالنار ويناوله من ترياق الحيوة وان كان ضالا فارشده وان مظلما فاض له وان أعمى فقده وان جاهلا فعلمه وان تائها فرده وان ساقطا فاقمه وان خاطئا فاهده الى التوبة وانما ليكن كل ذلك لمجد الاله الواحد وينبغى لك ان تكون بصيرا وحكيما لئلا تكون أعمى ومتغافلا عن تطهير خطاياك السالفة (٢ بط ١ : ٩) فتسقط انت ومن ارشدته كلاً كما فى حفرة (مت ١٥ : ١٤)

حيث

حيث يقتضى لمن كان محسنا بهذا الاحسان ان يكون غنيا به كى يستطيع ان ينفق من ماله المعنوى على الفقراء ويهتف مع الرسول قائلا أنا فقير ولكنى أغنى كثيرين لاشئ لى ولكنى املك كل شئ (٢ كو ٦ : ١٠) فيجعل له كنزا فى السماء ويدعى عظيما فى ملكوت السموات (مت ٥ : ١٩)

ثالث فرض

قد قلنا آنفا ان فضيلة المحبة من نحو القريب يصدر عنها فضيلة الرحمة والشفقة وهنا نقول ان فضيلة الرحمة يصدر عنها فضيلة التواضع والوداعة فمن كان رحوما وشفوقا بالروح والحق بالضرورة يكون وديعا ومتواضعا ففضيلة التواضع اذا متعلقة بفضيلة الرحمة كتعلق الروح بالبدن ولما كانت هذه الفضيلة شريفة وعظيمة بهذا المقدار لكونها يتوقف عليها اخلاص كل مؤمن عابد الله بالروح والحق ولكونها أساس التعليم المسيحى وركنا عظيما من الفضائل الرئيسية التزمنا ان نعرفها ونبسط لها شرحا وجيزا قائما بذاته قاصدين بذلك فائدة المؤمن فنقول ان التواضع ملكة يتحصل عليها المرء بواسطة التدريب والتعليم والاكتساب بحسب التعليم المسيحى وليس كما يظن البعض انها ملكة يفطر عليها بعض الاناس وسجية توجد من منذ الصغر ببعض الافراد والبعض الاخر لا فلو كان هذا الزعم صحيحا لما أمكن ان يصير المتكبر

متواضعا وبالعكس والحال بخلاف ذلك فاننا نرى الكثير ممن
كانوا غارقين فى قعر الرذيلة وهوة الكبرياء قد نقلتهم الديانة
المسيحية وصيرتهم كالحمام وأصعدتهم الى أعلى درجة وأسمى
ذروة من التواضع والوداعة وبالعكس كثيرون ممن كانوا منتظمين
بعقد المتواضعين لما نبذوا عنهم التعليم المسيحي ورفضوا الارشاد
الالهى والمخافة والتقوى والقداسة قد فارقتهم العناية الالهية
والنعمة الربانية فاصبحوا فى حمأة الكبرياء غارقين وامتلكت
الظلمة قوى عقولهم أى امتلاك حتى غدوا اسرى تحكمها
تدور بهم كآلة ميكانيكية أخيرا سقطوا من حضن الكنيسة
المقدسة وتوغلوا فى شرور متنوعة حتى صاروا اعداء ألداء لها
بعدما كانوا من أعز أبنائها واستحال رجوعهم دفعة أخرى ولا
عجب اذا كان الرسول يعنى عن هؤلاء بقوله ان الذين استنيروا
مرة وذاقوا الموهبة السموية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا
كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم
أيضا للتوبة اذهم يصلبون لانفسهم ابن الله مرة ثانية ويشهرونه
(عب٦ : ٤-٦) ولولا ضيق المقام لسردنا لك من كلا النوعين أخبار
صحيحة تؤيدهما مقتبسة من أشهر تصانيف آباء الكنيسة فالحاصل من
ذلك ان التواضع ملكة قابلة للاقتناء وكل أحد يستطيع ان
يقتنيها بواسطة الممارسة الدينية ومعرفة وجودها بالانسان سهلة
ولكن

ولكن لنفسه لا لغيره لاننا فى غالب الاوقات وكثيرا ما نخال بعض
الاناس أنهم متكبرون مع أنهم متواضعون ومرتقون رتبة كبيرة
من الوداعة وانسحاق القلب وسبب ذلك يكون على الغالب
لعدم معرفتنا بهم المعرفة الحقيقية وعدم ممارستنا معهم
وعكس ذلك اننا نظن بالبعض أنهم متواضعون ولكن بالظاهر
اذ يكونون منغمسين على الحقيقة بشر الكبرياء والسبب واحد

فعلى ذلك ان التواضع ينقسم الى قسمين أحدهما تواضع
باطنى والثانى ظاهرى ولقد يجتمعان بشخص لكن ذلك نادر
جدا والذى نحن الآن بصدده انما هو التواضع الباطنى
والوداعة القلبية اذ يتوقف عليهما الاعتماد ومدار الخلاص
وذلك يقود الى شر الرياء بحسب التظاهر لان الله لا ينظر
للظاهر ولا يأخذ بالوجه بل انما ينظر الى الباطن وانسحاق
الضمير كما قال على فم نبيه . السموات كرسيّ والارض موطئ
قدميّ أين البيت الذى تبنون لى وأين مكان راحتى وكل هذه
صنعتها يدى فكانت كل هذه يقول الرب والى هذا انظر الى
المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامى (اش ٦٦ : ١
-٢ ومن ذلك ما قاله لصموئيل حينما رام أن يمسح الباب ابن
يسى ملكا على اسرائيل . لا تنظر الى منظره وطول قامته لانى قد
رفضته لانه ليس كما ينظر الانسان لان الانسان ينظر الى العينين

وأما الرب فانه ينظر الى القلب (اصم ١٦ : ٧) فالمقصود اذا من هنا تواضع الروح وانسحاق الضمير وانكسار القلب أى الوداعة الكاملة وهذا هو التواضع الذى يستحق ان ينال ذووه الغبطة والسعادة من المسيح القائل طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات طوبى للودعاء لانهم يرثون الارض (مت ٥ : ٣و٥)

واما كيفية الحصول على هذه الحالة الصالحة فاولا من درس الكتاب المقدس اى الهذيذ بالوصايا الالهية واللهج بالاقوال الروحانية والترتيل بالتسابيح النبوية التى هى ركن عظيم من الصلوة وقد أشار بهذا الرسول لتلميذه قائلا وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع كل الكتاب (الصحيح كل كتاب) هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتاديب الذى فى البر لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح (٢تى٣ : ١٠-١٧) ومن هذا القبيل درس ومطالعة كتب الابا القديسين وبالاخص كتب الرهبان الناسكين الذين اشتهروا بالوداعة الكاملة والتواضع الحقيقى ونبغوا فى سماء اجيالهم كالشموس الساطعة . ثانيا القيام بفرض الصلوة كما يجب دائما وتتميم فروض العبادة المقدسة الواجبة . ثالثا تقديم

الطاعة

الطاعة للمعلمين الروحيين وآباء الكنيسة المحترمين كما أوصانا الرسول قائلا اطيعوا مرشديكم واخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا (عب١٣ : ١٧)

رابعا وأخيرا التأمل بتواضع المسيح ابن الله الازلى الذى قال تعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (مت١١ : ٢٩) وقد قال الرسول فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضا الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة ان يكون معادلا لله الخ (فى ٢ : ٥) وتواضع الابا والانبياء والرسل والشهداء والتأمل بسرعة انحلال هذا العمر الذى يزول كالظل الدابر والطيف العابر فهذه الانواع التى بواسطتها يمكن الانسان ان يقتنى فضيلة الوداعة

وبعكس ما تقدم لقد يوجد بعض أنواع تطرد التواضع من القلب ويحل محله الافتخار وشر الكبرياء ألا ترى ان قراءة الكتاب المقدس أو مطالعته على سبيل المباهاة واقتباس المديح والتماس الفخر من الغير تولد بقلب المرء الكبرياء والعظمة فان من كان غايته تلك لاينتفع شيئا فضلا عن كونه يضر بصالح نفسه لان العلم على هذه الهيئة ينفخ (١كو ٨ : ١) ومطالعته بدون خوف الله الذى هو أس ورأس وجرثومة الحكمة والعلم جميعا (مز١١١ : ١٠) فمن طالع كتاب الله العزيز بدون خشية وتقوى

وقداسة وعزم ان يتحصل على معناه بدون معاضدة ومساعدة هداية الروح القدس الذى لايسكن الا فى القلب المتواضع وبدون استرشاد معلمى البيعة بل استبد برائه واستقل بفهمه القاصر فانه يهبط من درجة التواضع ويسقط متدهورا بقعر رذيلة الكبرياء ويلبس العظمة كالثوب ولقد قرأنا أخبار اناس كثيرين لما سقطوا بهذا المرض العضال أخذ بهم كل مأخذ وصاروا فى أشر حال اذ خرجوا عن حيز التعقل وسقطوا فى هلكة أبدية (٢ بط ٣ : ١٦) وهذه الحال تجدها أيها القارئ عند الفرق الكالوينية حيث لايوجد فرد يوافق فردا آخر ويطابقه على تفسير عبارة كتابية لاستبداد الرأى وعدم الاذعان لما تواطأت عليه الكنيسة الارثوذكسية ومن جراء ذلك قد تفرقوا وتشعبوا الى فرق وشعب كثيرة لان الكتاب لم يعط للكافة لكن لمن أوتى موهبة الارشاد والتعليم أى الطقس الاكليريكى. نعم الكنيسة المقدسة لاتمنع بنيها كغيرها مطالعة الكتاب الالهى اذ تسمح لفرد كل منهم ان يتلوه ويلهج بالاقوال الالهية لكن لاتسمح له ان يفسر على مقتضى رائه وارشاد عقله لان ذلك ضار وغير نافع له فيجب على من عزم ان يطالع الكتاب المقدس ان يخضع لحكم التفاسير الالهية ويرتشد من أئمة البيعة القادرين ان يحلوا كل مسألة غامضة وعسرة الفهم

لئلا

لئلا يقع برذيلة الكبرياء فيضل ذاته وغيره أيضا يضل بضلاله ✽

ومن هذا القبيل الغنى واليسار والثروة والمال فانها آلة لاجتلاب الكبرياء وسبب يولد روح التشامخ بقلب ذويها ولهذا ينبغى لمن كان غنيا وذا ثروة ان يحترس احتراسا لامزيد عليه ويعرف كيف يتصرف تصرفا مرضيا ويسلك امام ذلك الذى بيده الغنى والفقر بطريقة صالحة ويستسير بسيرة مقبولة ويرسم قبالة عينيه كلمات الرسول. أوص الاغنياء فى الدهر الحاضر ان لايستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع وان يصنعوا صلاحا وان يكونوا أغنياء فى أعمال صالحة وان يكونوا أسخياء فى العطاء كرماء فى التوزيع مدخرين لانفسهم أساسا حسنا للمستقبل لكى يمسكوا بالحيوة الابدية (١ تى ٦ : ١٧ - ١٩) فاذا من كان غنيا وحافظ على ذاته المحافظة التامة واحترس الاحتراس الكامل وانتبه من شر روح الابهة وتشامخ الانف وارتفاع القلب فانه يستطيع ان ينجو من رذيلة الكبرياء ويسهل عليه ان يقتنى روح التواضع والوداعة التى مصدرها القلب

ومن هذا القبيل أيضا الحصول على المراتب المدنية والدينية فانها قد تكون غالب الاحيان أحابيل واشراكا لوقوع وسقوط ذويها فى معصية الكبرياء وهبوطهم من ذروة

بمجد التواضع السامى ولهذا السبب عينه أمر الرسول تلميذه ان ينتخب ويصطفى للرتب الدينية من يكونون ذوى صفات لائقة وسيرة حميدة لئلا يسقطوا فى الوبال ويتورطوا باشر حال (اتى٣ : ١-٧)

فالحاصل ان الانسان متى ماسلم من مثل هذه الاسباب القائدة لدركة التكبر يقتنى حينذاك التواضع الحقيقى الباطنى وعلامته اشعاره بذاته انه مقصر وعاجز عن تأدية ماعليه من الواجبات الالهية والفروض المسيحية وانه أحقر وأذل وأخطى خلق الله تعالى وان جميع ما يصيبه من الضيقات والشدائد والنكبات والمكائد ينسبها لشقاوة أفعاله وسوء عمله وشر طريقته فيحمد الله على السراء والضراء ويشكره على كل حال ويتقبل كلما يأتيه بالثناء والامتنان فحينذاك تزور النعمة نفسه وتمتلئ من الرجا والايمان والمحبة ويسمع هفيف صوت الروح صارخا داخله تكفيك نعمتى لان قوتى فى الضعف تكمل (٢ كو١٢ : ٩) ويستحق ان يكون مسكنا لله العلى وهيكلا كقدس الاقداس للروح القدس الذى يسر بالمتواضع الروح ويقترب اليه ويمقت المتباهى والمفتخر ويبتعد عن ذى التشامخ والمتكبر كما قال على فم النبى فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لاحيى روح المتواضعين ولاحيى قلب المنسحقين

المنسحقين (اش٥٧ : ١٥)

فعلينا أيها الاخوة المباركون يجب ان نجتهد ونسعى لنقتنى هذه الخلة الصالحة ونتسربل بهذه الحلة الكاملة المربحة التى هى سلم بها نرتقى اسمى درجة وارفع ذروة من الفضيلة ونصعد الى السماء نفسها ونرث الميراث الذى لا يبلى فى الحيوة المزمعة الابدية حيث يتوجنا الهنا المسيح بتيجان المجد ويجلسنا بمحبته على أرائك السعادة وكراسى السيادة لان التواضع هو سلم الارتفاع والارتقاء فمن حوزه قد حاز السمو والرفعة والمقام العالى والرتبة الشريفة فان كنت أيها العابد المتدين بالدين الصحيح ومؤمن بايمان السيد المسيح تشاء ان تحظى بالسعادة والغبطة ان كنت تريد ان تحرز المقام الرفيع والكرامة والاجلال دونك هذا القائد تمسك باطرافه وتعلق باهدابه فانه يرقيك الى أريكة مآربك ويرفعك الى ذروة منيتك ومقصدك وبدونه لا تستطيع ان تبلغ شيئا وعبثا تتعب سواه لانه قبل الكرامة التواضع كما ان كبر الانسان قبله كبرياء قلبه (أم١٨ : ١٢) ومن يرفع نفسه يتضع كما من يضع نفسه يرتفع (مت٢٣ : ١٢) فان شئت ان ترى أياما تقربها عيناك وحيوة تلذ لنفسك وهدوا لقلبك وفرحا لفؤادك وطمانينة بسريرتك وسرورا بضميرك وارتفاعا لا يعقبه السقوط وسموا لا يسطو عليه أو يفاجئه الهبوط سلم نفسك لهذا

لهذا المرشد الامين وهو يقودك ويقربك ويزلفك للاله ذاته فضلا عن كونه يحميك من كافة غوائل المعاندين ويقيك من شر الناصبين اذ يجعلك فى حماء وحرس وصون العناية الالهية فيعتنى بك الاله بكل طرقك كما قال الرسول تواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه ملقين كل همكم عليه لانه هو يعتنى بكم (ابطه : ٦ و٧) وان كان ايها الاخ المؤمن يعسر عليك ان تشتمل بالاتضاع من أجل عزتك وسطوتك فتأمل بعين عقلك وردد بافكارك اتضاع الابن الازلى الذى به كان كل شئ والذى بيده سلطان الحيوة والموت ذلك الذى نزل من أعالى مجده وهبط لعالمنا الحقير وسكن الدنى الذليل وارتضى ان يعادلنا بحقارة وانخفاض انسانيتنا فساوانا بالطبيعة البشرية ولم يكتف بذلك بل اضطره تواضعه الفائق وطاعته الكاملة ووداعته الفاضلة ان يقبل عنا أقبح ميتة بالصليب مع انه اله ومساو لابيه وروح قدسه بالذات والجوهر ومعادلا بالقوة والقدرة فالاحرى بك أيها الانسان اللابس الاتضاع بالطبع والذات ان لاتغاير صفات ذاتك بل أحفظها لك غير مستبدلها بما يستلك واقتد بمن عادلك وهو غير مفتقر بما لك طبعا لكيما ينقلك الى ماله ويغير شكل جسد تواضعك لكون على صورة جسد مجده (فل ٣ : ٢١) ويبتدل اتضاعك بارتفاعه

وهبوطك

وهبوطك بعلوه وحقارتك بسموه (١ كو ١٥ : ٤٩)

فاحترس ياأخى من الكبرياء فانها شر عظيم ومصيبة كبرى سريعة الانهدام والعطب صاحبها معرض لخطر عظيم وخطب أليم فلا يمر عليه زمان الا بالهوان بخلاف الاتضاع فانه خير لايقدر وربح زائد لايعبر صاحبه ساكن فى بيت الامان وقاطن بدار السلم والاطمئنان فاقتنه أيها العابد بالروح والحق فانه أثمن من اللآلئ وكل جواهرك لاتساويه فى يمينه طول أيام وفى يساره الغنى والمجد (أم ٣ : ١٥) وحينئذ يليق بك ان تفتخر وتعطى الغبطة لنفسك كونها سعيدة وكأنى بصوت الرسول مناشدك. ليفتخر الاخ المتضع بارتفاعه وأما الغنى فباتضاعه لانه كزهر العشب يزول (يع ١ : ٩ و١٠) لانك غدوت كريما فى أعين الله والناس ومحبوبا لدى البشر والملائكة. لانه بمقدار مايكون المتكبر حقيرا فى أعين البشر وعدوا وضدا لله بمقدار ذلك يكون المتضع كريما باعين اله السماء ومقبولا لدى اخوته نعم ان الله يقاوم المستكبرين ويعطى نعمة للمتواضعين (ابط ٥ : ٥) فان كنت تريد ان تكون خليلا لاخوتك وشريفا لدى بنى جنسك ومحبوبا عند الهك اتضع بقلبك لجلاله وأحكامه واخضع لاقرانك لمعادلين لك ان لم يكن بالرتبة فبالانسانية أى النفس والجسد وحينئذ تقتنى صحة العبادة وتحرز لواء السعادة

وترتفع من دار الشقاء الى دار الخلود والبقاء بالعز والاكرام
والجلال والاحترام

رابع وآخر فرض

لما كان قصدنا من وجوب افتراض العبادة الحصول على الرياضة الروحية أي خلاص النفس من مجاذبات وأهواء الطبيعة البشرية لكى تحظى بالزلفى امام العزة الالهية وكانت الطهارة هى الجامعة والمكملة فروضها والموصلة لهذا الغرض والقائدة ذويها الى عرش النعمة رمنا ان نضع لها موضوعا قائما بذاته مبينين فيه واجباتها والطرق الموصلة لها وقد قسمناه الى أربعة أقسام الاول حال الخاطئ الثاني تحريك الله اياه على التوبة ووعده له بالغفران الثالث واجبات التائب الرابع واجباته بعد التوبة ولنأخذ بالشرح على كل قسم أول ذلك. حال الخاطئ من ثلثة أوجه بالنظر لذاته وبالنظر لقريبه وبالنظر لخالقه فبالنظر لذاته ان الانسان الخاطئ الغارق ببحر الخطايا لا يستطيع ان يقتنى راحة بضميره وسكونا بسريرته ما دام خاطئا. وهو يشبه رجل سقط بلجة وأخذته الامواج تارة تجتذبه وأخرى تقذفه فاصبح برعب شديد وجزع لاعليه من مزيد ينتظر وقتا بعد آخر ساعة حتفه ولات ساعة مناص من تجرعه كاس المنون هكذا

اعتبر

اعتبر حال الخاطئ المتوحل بحمأة خطاياه والعائم على لجج هفواته فانك اذا اعتبرت الحقيقة تجده دائما مشتملا بالرعب وملتحفا بالقلق والانزعاج ومحيقة به عذابات شتى تقلقه أثناء الليل وأطراف النهار حتى بارتكابه المعاصى. ألا ترى ان ضميره ديان له فى كل وقت حيث لا يسكت من تبكيته ولا يهدأ من شجبه وتوبيخه فكأنه مقيد بسلاسل الجحيم وعذابه الاليم متحققا ان نفسه أصبحت أشقى خلق الله ومتأكدا انه عما قليل يقع بديونة الله العادلة. وبالنظر لقريبه اذا كان هذا الالم الشديد ناتجا من قبل ذاته ومن قبل ضميره المتواطئ معه على ارتكاب الفواحش والمعاصى فكيف يا ترى تكون حاله اذا تصور بعقله وخال بل تأكد ان خطاياه هذه وخفياته اكتشفت جهرا وظهرت عيانا وأطلع كل عليها ترى كم من الخجل يستحوذ على نفسه التعيسة وكم من الوجل يشمله وكم من الحزن المفرط يحيق بذاته المنكودة الحظ نعم لا يقدر. وخصوصا اذا ظن وخال بان كل أحد من الناظرين اليه يشير عليه باطراف البنان ويحرك رأسه دلالة على سوء فعله وقبح سيرته أهل يستطيع مثل هذا أن يرفع رأسه بين أقرانه وبين أخوته وأترابه من الحياء والخجل. وهل ممكن له ان يعيش وهو على هذه الحال الشقية المستحقة الرثاء الا بكل مرارة وكل صعوبة. وهل ممكن له ان

يجد راحة داخلا منه وضميره مجذوبا بسلاسل الخوف والقلق وأفكاره غارقة ببحر الارتياب والاضطراب فمثل هذا موته أفضل من حياته بالشقاء. وبالنظر لخالقه قد يعجز لساني ويقصر عن تعبير مايشمله اذا أورد على ضميره سخط الاله على شقاوة أفعاله وسوء معاملته وغضبه المهول على ارتكابه الفواحش التي أصبحت قبيحة امام الله والبشر والملائكة. وأضحى مرتكبها عدوا مبينا لله وللبشر من حيث تعديه الناموس الطبيعي والوضعي قارعة وصادعة أذنيه زجرات الله. مالك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك اذا رأيت سارقا وافقته ومع الزناة نصيبك أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشا تجلس تتكلم على أخيك لابن أمك تضع معثرة (مز٥٠ : ١٦-٢٠)

لاسيما اذا خطر على باله وتذكر ساعة الدينونة الرهيبة وعدالة حكم الله وقضاه الذي لايحابي ولا يأخذ بالوجوه وحال وقوفه خجلا امام ذلك الديان حينما ينظر اليه شزرا بحضرة ربوات وملايين ملائكة وبشريين. فهل يستطيع ان يرفع رأسه حالة كونه مدنسا بالخطاء وملطخا بالاثم والمعصية. فترى هذا الشقي والسيء الحظ كم من القلق والانزعاج يعتريه وكم من الارتعاب وكم من الخوف والعذاب يقاسيه وكم من المشاق والاتعاب

يفاجئه ثم لايعبر. فهذه حال الخاطئ التعيس مادام قائما على قدم بغيه ومستمرا على ضلاله وسوء رائه ومتعبدا للخطيئة وسائرا في دياجي الظلمة القصوى. ولكن ليلاحظ القارئ هل الله يترك مثل هذا الضال يخبط بعشواه ويسلك دائما بالظلام الحالك والقتام الدامس كلا بل انما يضع له وسائل كبرى لكيما بواسطتها يستطيع ان ينجو من شر الخطيئة ويتحرر من عبودية ابليس المحتال وهذا هو المقصود من القسم الثاني* ان الله بما انه كلي الطهارة ومعدن القداسة وكنز النقاوة بالضرورة يبغض الاثم والنجاسة ويكره الخطيئة وبالتالي يمقت مرتكبها ويحتم بما انه عادل عليه قصاصها وهو الموت المؤبد الذي لانهاية له لكن بما انه معين الرحمة على جبلته وينبوع الحنو والشفقة والرأفة على صنعة يديه فلا يشاء هلاك أحد من خلقته ولو توغل بكافة أنواع الاثم ولو ارتكب المعاصي بأجمعها ولو علت شروره فوق طبقات السماء ولاجل ذلك يضع له سببا ويجعل له وسيلة لكي يرد عن ضلاله ويرجع عن غيه وعصيانه وذلك أما من داخل وأما من خارج فمن داخل يحرك ضميره لتوبيخه على مافرط منه وتحريضه على القيام بما يجب عليه من حقوق الباري ولايزال نخز الضمير يشتغل داخلا منه حتى يعزم على التخلص من هذا العذاب بواسطة تحركه الى التوبة

فيستغفر من المولى ويطلب الكفارة عن خطاياه ومن داخل متى مارأى البارى ان هذه الوسيلة لم تنجع به ولم تؤثر بدائه يستعمل معه طريقة أخرى اذ يعرضه لتوبيخ الكنيسة ودينونتها لانه أغلب الاحيان اذا حضر الخاطئ الى البيعة وقرعت أذنيه أصوات الكتب المقدسة وصدعته الانذارات الوعظية والزواجر التحريضية وسمع الوعد والوعيد يستفيق من سهوه وينتبه من غفلته فيتحرك للندامة وعمل التوبة. لان من عادة الاقوال الروحية الصادرة من أنفاس رسل الله القديسين ان تؤثر بقلوب الخاطئين كما تؤثر النار بالحديد. لان كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته (عب ٤ : ١٢) لانه كما ينزل المطر والثلج من السماء ولا يرجعان الى هنالك بل يرويان الارض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطى زرعا للزارع وخبزا للآكل هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لاترجع الىّ فارغة بل تعمل ماسررت به وتنجح فى ماأرسلتها له (اش ٥٥ : ١٠و١١)

وتلك آيات الكتاب فانها ❁ تحى القلوب وتنعش الابدانا
كم صححت روحا وجسما وأصبح الـ ❁ ـخاطئ نقيا داخل الايمانا

فاذا تكلس الخاطئ ورجع عن عصيانه متأثرا من توعدات الكتاب الالهى سهل عليه ان يقدم توبة صحيحة ويطلب كفارة

كفارة عن خطاياه بالروح والحق فيرجع الضال مهتديا الى بيت أبيه وينخرط بسلك الابناء الوارثين . وان قام على قدم العصيان واستدام على ضلاله وغيه وكانت تلك العلاجات ذهبت سدى بدون ان تضمد جروحه وتصحح سقمه وتشفى قروحه يستعمل الله معه آخر وسيلة حيث يسمح بان يقع ببعض مصائب وبلايا وتجارب جسدية كمرض أوضيق أواضطهاد أوفقر تأديبا له وتحريكا لرجوعه الى طاعته الاولى . وهنا ينبغى للخاطئ ان ينتبه لذاته ويحترس بكل طاقته . لانه اذا عامل الله الخاطئ بمثل هذه المراحم واستعمل معه هذه الوسائل واخيرا عرضه لتأديبات كهذه ولم يستيقظ بها فلا محالة تتخلى عنه عناية الله . وحينذاك تصير أواخر ذلك المرء التعس والمنكود الحظ أشر من أوائله . وغالبا من تصيبه هذه التجارب ولم يذعن لامر الله ولم يتب . يساق بواسطتها الى التجديف على الروح القدس فلا ينال مغفرة البتة وهذا أعظم شر يصيب الخاطئ الساقط من حضن البيعة وأبى الرجوع بالتوبة . لان الاصرار على الخطاء هو عين التجديف على الروح القدس . لانه لايوجد خطاء لايقبل المغفرة بالتوبة . بل عدم التوبة خطيئة لاتكفر ولا تغفر . ومن هذا القبيل التأديبات التى ذكرها يوحنا برؤياه التى سيرسلها الله على البشر من أجل شر أفعالهم . فعوضا

جماً كان واجبا ان يقدموه من التوبة مجدفوا على اسم الله ولم يتوبوا ليعطوه مجدا (رؤ ١٦ : ٨ و٩ و١٠ و١١ و٢١)

واذا تحرك الانسان بالعناية الالهية للندامة والتوبة تأخذ الافكار المختلفة تتوارد عليه تارة بالايجاب أى بعزمه على تقديم واجبات التوبة وأخرى بالنفى أى بقطع الرجا واليأس من نواله الغفران فما دام بهذه الحال لايستطيع ان يقدم توبة خالصة ولاتزال الافكار تختلج ضميره حتى توافيه المواعيد الربانية الصادقة وتحقق لديه قبوله اذا تاب وندم عما فعل فحينئذ يسمع صوت الوحى ناطقا على فم حزقيال حى أنا يقول السيد الرب انى لااسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا ارجعوا ارجعوا عن طرقكم الرديئة فلماذا تموتون يابيت اسرائيل وانت ياابن آدم فقل لبنى شعبك ان بر البار لاينجيه فى يوم معصيته والشرير لايعثر بشره فى يوم رجوعه عن شره ولايستطيع البار ان يحيا ببره فى يوم خطيئته . اذا قلت للبار حيوة تحيا فاتكل هو على بره واثم فبره كله لايذكر بل باثمه الذى فعله يموت واذا قلت للشرير موتا تموت فان رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق ان رد الشرير الرهن وعوض عن المغتصب وسلك فى فرائض الحيوة بلا عمل اثم فانه حيوة يحيا لايموت كل خطيئته التى أخطأ بها لاتذكر عليه عمل بالعدل والحق فيحيا حيوة (حز ٣٣

: ١١-١٦) يسمع صوته مناشدا بنى اسرائيل على فم أشعيا هلم نتحاجج يقول الرب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وان كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف (اش ١ : ١٨) انا أنا الماحى ذنوبك لاجل نفسى وخطاياك لااذكرها (٤٣ : ٢٥) يسمع صوته بفم هوشع مناديا . ارجع يااسرائيل الى الرب الهك لانك قد تعثرت باثمك خذوا معكم كلاما وارجعوا الى الرب قولوا له ارفع كل اثم واقبل حسنا فنقدم عجول شفاهنا (هو ١٤ : ١ و٢) يسمع صوته بفم يوئيل مناديا . ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لاثيابكم وارجعوا الى الرب لانه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر (يوء ٢ : ١٢ و١٣) يسمع صوت يوحنا الحبيب هاتفا ان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا (ايو ٢ : ١ و٢) ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم (ايو ١ : ٩) يذكره الكتاب بمعانقة الاب لابنه الضال وقبوله اياه متسربلا بالحلة البنوية والخاتم فى يده والحذاء برجليه (لو ١٥ : ١١-٣٢) يتذكر الفرح الذى يصير عند أهل السماء من أجل رجوع ضال وتوبة خاطئ (لو

١٥ : ١٠) يسمع صوت المسيح للزانيـة قائلا مغفورة لك خطاياك (لو ٧ : ٤٨) يسمع صوته للص من على الصلب . اليوم تكون معي في الفردوس (لو٢٣ : ٤٣) يتذكر قبول بطرس ومغفرة خطيئته (يو ٢١ : ١٥) يخطر على باله تبرير الملك داود من اثمه الفظيع وخطيئته الكبرى ويسمع صوت التي صارخا له . الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك لا تموت (٢ صم ١٢ : ١٣) يسمع صوت العشار متضرعا . اللهم ارحمني أنا الخاطئ (لو ١٨ : ١٣) يسمع صوت الوف وربوات من الخطاة قائلين . اعترفنا للرب باثمنا ولم نكتم خطيئتنا فرفع الرب خطيئتنا (مز ٣٢ : ٥) فبينما الخاطئ المتردد والغارق ببحر الارتياب والسابح على أمواج الشك يعتبر توبة الخاطئين وتبريرهم ورجوعهم الى طهارتهم الاولى ونقاوتهم الفضلى . يوطد رجاءه ويؤكد أمله فيعزم ان يتقدم الى منهج التوبة ويتمسك بعراها الوثقى ويتعلق بحبلها المتين فتنقله من مصف ال الشمال وتوضعه برتبة آل اليمين

القسم الثالث واجبات التائب . ان الانسان لابدع بدخوله ابتداء في الدين المسيحي يطهر بواسطة المعمودية وقبوله النصرانية وينقى من كافة الآثام ويتقدس من سائر الادناس ويحظى

ويحظى بالكفارة عن جميع خطاياه أي يخلع الانسان العتيق بكافة تصرفاته ويلبس عوضه الانسان الجديد بكل طهارته ويستمر على هذه الحال مادام سالكا سلوكا مسيحيا . وقائما بواجب العبادة بالروح والحق . مجتنبا شهوات العالم قولا وفعلا وفكرا ومحافظا على قداسة ذاته باطنا وظاهرا وحادا بسبيل الحياة . متسلحا باسلحة الروح مقابل عدو النفس وخصمها . أعني به ابليس (١بط٥ : ٨ وافس٦ : ١١-١٧) فما دام اذا ساهرا على خلاص نفسه . ومنتصرا على مكائد والفخاخ أعدائه ومجتنبا غرور العالم وأباطيله وظافرا بحيل ابليس وأحابيله . بالضرورة يستمر على حسب الطهارة التي اقتناها بولادته من بطن المعمودية المقدسة . ولكن اذا أعطى الاهمال موضعا والكسل محلا . وسرح خيول الغفلة تطارد جفنيه . واسهم السهو واللهو تفاجئ مقلتيه . فيقع سريعا من على ظهر جواده وتفوز به جنود الخطيئة وتستعبده وتستأسره فيضيع حريته الشخصية وتسلب منه سلطته الذاتية . فلاجل اعاده ماأضاع يلتزم ان يسلك طريقة جديدة وهذه الطريقة تعرف بالتوبة

حقا ان المسيح قد قدم ذاته القدوسة ضحية وفداء عن اثم العالم جميعه ولاتزال هذه الضحية فعالة وحية الى أباد الدهور يسوع

المسيح هوهوأمساواليوم والى الابد (عب ١٣ : ٨) وكما كانت تلك الضحية التى قدمت على عود الصليب كفارة وفداء عن جريمة ومعصية المؤمن بجرن المعمودية المقدسة هكذا هى بذاتها لاغيرها تكون ممحصة اثمه بطريق التوبة لان دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية. ان قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا و يطهرنا من كل اثم (ايو ١ : ٧-٩) انما كى نستحق ان تدركنا استحقاقات ذبيحة المسيح كما أدركتنا أولا وقامت بالنيابة عنا وأخذت مفعولها بالفداء والوفاء عنا لدى الاب السموى . ينبغى ان نقدم توبة صريحة وندامة ممحصة خالصة من كل شائبة . أى نعم فى طريق الصليب كان التحرير بدون تعب و بدون عناء أما الان ليس كذلك . فى كل وقت وكل يوم وكل ساعة لنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا (ايو ٢ : ٢) ويقدر ان يخلص أيضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله . اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم (عب ٧ : ٢٥) ولكن ينبغى و يشترط لذلك تقديم توبة حقيقية فالتوبة اذا هى الوسيلة الوحيدة . والآلة الفريدة التى بها ننال الصفح ونتقدم الى عرش النعمة بواسطة المسيح يسوع

وسيط

وسيط وكفيل حياتنا ونثبت فيه مادمنا متمسكين بالاعتراف والاقرار باسمه وحفظ وصاياه . كما وعدنا بقوله . من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حيوة أبدية ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحيوة (يو ٥ : ٢٤)

فتكفير اثمنا اذا لايكون الا بواسطة ذبيحة المسيح . وذبيحة المسيح لاتقوم بالكفارة ووفاء عدل الله الا بالتوبة اى الباب الذى به ندخل الى راعى الرعاة الحقيقى وننخرط بقطيعه الصالح واذا علمنا ذلك وتحققنا صدقه نقول . ان واجبات التائب وشروطه حتى يحصل على التوبة الصحيحة و يتوصل الى ذبيحة الفادى المكفرة هى ثلثة الاول فعل الندامة . الثانى فعل الاعتراف والوعد الباطنى بعدم الرجوع الى ارتكاب الخطاء الثالث فعل الخضوع والطاعة للمرشد الروحى . فعن الاول نقول ينبغى للتائب ان يقدم ندامة على ماصدر منه و يتحصر على مافعله من ارتكابه الاثم والخطيئة وتعديه ناموس الله أى يطلب منه اظهار انسحاق قلبى . وحزنا باطنيا وحصرة وتأوها على مااقترفته يداه واجترمتاه وعلى مااستحقه بعدل وانصاف أى الابتعاد من البنوة المسيحية والطرد من شركة ميراث القديسين واستجلاب غيظ الله عليه باستحقاق من قبل اختياره وهذه القضية كتابية وتقليدية لانه مامن أحد من رجال الله

القديسين الذين تابوا استطاع أن ينال عفوا الهيا وصفحا مسيحيا بدون الندامة والحصرة والحزن أى انسحاق القلب وتأوه الضمير والاسف على خطاياه السالفة . والله جل وعلا لا يطلب من التائب الندامة بالقول أى التى يكون مرجعها الى الرياء بل بالفعل أى الندامة الباطنية التى يكون أسها ومصدرها انسحاق القلب وتنفس الصعداء . وتأوه الصدر وهكذا نسمع أمره لبنى اسرائيل قائلا . ارجعوا الى بكل قلوبكم و بالصوم وبالبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم فانه رحيم ورؤوف طويل الاناة وكثير الرحمة ونادم على الشرور (يوء ٢ : ١٢و١٣) والمسيح بوضعه أساس التوبة قد شخص لنا كيفية الندامة بالابن الشاطر الذى اتى الى أبيه قارعا صدره بالحزن والتخشع والبكاء والنحيب قائلا يا أبى اخطأت الى السما وقدامك ولست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا اجعلنى كاحد اجرائك (لو ١٥ : ١٨و١٩) وبالعشار الذى استغاث بمراحم الله وطلب المغفرة بتوجع قلب و بكاء وحزن وا كتئاب اذ كان واقفا من بعيد لا يشاء ان يرفع عينيه نحو السماء بل كان يقرع صدره قائلا . اللهم ارحمنى أنا الخاطئ (لو ١٨ : ١٣) . وهكذا نرى الزانية لما وقفت عند قدمى المسيح من ورائه أفاضت دموع البكا بتوابدأت

تبل

تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب (لو ٧ : ٣٨) و بطرس الرسول لما جحد سيده خرج الى خارج و بكى بكاء مرا (مت ٢٦ : ٧٥) وداود النبى بعد ما أخطأ قدم تائبا بالبكا والنحيب هاتفا . ارحمنى يا الله حسب رحمتك حسب كثرة رأفتك أمح معاصى (مز ٥١ : ١) فالندامة اذا قسم جوهرى من أقسام عمل التوبة تطلب من التائب بالحصرة على ماسلف منه والحزن والتأسف على الخطايا التى صدرت عنه بجهل أو بعلم وحينذاك يستطيع ان يصل الى باب التوبة الحقيقى كما قال الرسول ان الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة (٢ كو ٧ : ١٠) فلينتبه المرء الذى عزم ان يأدى واجبات التوبة الى هذا القسم الجوهرى لان كثيرين لا يكترثون به فلا يتوبون ولا يستطيعون ان يحصلوا على الخلاص والنجاة من خطاياهم اذ لم ينجع بهم العلاج ولا ينفعهم الدواء الروحى فيبقون على حالهم التعيسة و يزدادون شقاوة

الثانى الاقرار بالخطاء أعنى الاعتراف الشفاهى هو أمر ضرورى اذ يقتضى لكل تائب ان يصف خطاياه و يحصيها و يعددها واحدة فواحدة امام الاب الروحى بحسب الزمان والكيفية والنوع والمكان وهو قضية سيدية مرسومة من المسيح نفسه

لان المسيح الذى أعلم اليهود ان له سلطانا على الارض ان يغفر الخطايا (مت٩ : ٦) بحسب الناسوت المتحد به اللاهوت الاقدس اتحادا جوهريا طبيعيا ذاتيا والذى دفع اليه كل سلطان فى السما وعلى الارض (مت ٢٨ : ١٨) قد رسم شكل الاعتراف وسلمه لرسله القديسين بقوله الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء (مت ١٨ : ١٨) وقد قال هذا القول عينه لبطرس لما اعترف به بانه المسيح ابن الله الحى (مت ١٦ : ١٦) وبعد ماقام من الاموات سلم رسله أجمع هذا السر المقدس بمنحه اياهم موهبة الروح القدس المتممة والقادرة على حل وربط وغفران ومسك الخطايا بقوله لهم. سلام لكم كما أرسلنى الاب أرسلكم انا ولما قال هذا نفخ فيهم وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفرله ومن امسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠ : ٢١-٢٣) فالتوبة أى الاقرار بالخطايا على كهنة البيعة هى سر مقدس مسلم للرسل من المسيح نفسه بعبارة صريحة لاتقبل تأويلا آخر ومن المعلوم أن هذا السر قد تداولته كنيسة المسيح من الابتداء ويتضح لنا ذلك من أعمال الرسل فان الذين دخلوا فى الدين المسيحى حديثا اعترفوا جهرا امام الرسل بخطاياهم كما اخبر القديس لوقا

لوقا . وكان كثيرون من الذين أمنوا يأتون مقرين ومخبرين بخطاياهم (اع١٩ : ١٨) وقد أمر يعقوب الرسول المؤمنين ان يقوموا بواجب هذا السر المقدس بقوله . أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلوة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطيئة تغفرله اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥ : ١٤-١٦) والقديس بولس قد أوصى المعرفين أى الكهنة ان يترفقوا بضعف المعترفين ويعاملوهم بالرفق واللين لا بالقساوة والاساءة فوق ما لا يجب بقوله . أيها الاخوة ان انسبق انسان فاخذ فى زلة ما فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا (غل٦ : ١) ولنا شهادات غير هذه كثيرة من التقليد الرسولى كقانون الرسل والتقليد الكنائسى كالاباء المعتبرين ان هذا السر سر الهى قد درج فى البيعة منذ الابتداء . والخطأة كانوا يعترفون على نوعين البعض امام جمهور المؤمنين أى الشعب والاكليروس جميعا . والبعض الآخر على افراد الكهنة وكل منهم كان يستمد قوة الحل وغفران خطاياه من الكهنة ولكن على توالى الزمن قد تنازلت الكنيسة الارثوذكسية كام حنونة مترفقة بضعف المعترفين بالنسبة لما يشتمل البعض

منهم من الخجل والحياء امام جمهور البيعة واستعاضت بالاعتراف على افراد الاكليروس سرا دون الجهر على الجمهور. ومن ذلك الحين لايزال هذا السر ساريا على هذه الهيئة الدارجة الى الآن وسيدوم الى الابد فنحن الآن ليس قصدنا فتح باب جدال مع اخصام الكنيسة لاثبات هذا السر المؤيد من المسيح نفسه بل قصدنا أن نظهر لزوم ممارسته بالواجب وانه قسم جوهرى من ضمن فروض التائب. ولهذا بناء على أمر المسيح وأمر الرسل الكرام وتعليم الكنيسة الجامعة الارثوذكسية تحرض التائب أن يقوم بواجب هذا السر اى يقر بخطاياه فردا فردا على كاهن ويطلب المغفرة ويتناول العلاج الروحى لشفائه حتى ينتقل من المرض الى الصحة ومن الانكسار الى الانجبار وقبل أن يدنو الى كرسى الاعتراف ينبغى ان يمتحن ذاته ويفتش مخادع نفسه وينقى قلبه ويصفى ضميره ويجمع حواسه ويصنف كافة آثامه ويقر بها بحسب انواعها وظروفها واما كنها واسبابها بغاية الاحتشام والوقار. وحينئذ يحصل على المغفرة بسهولة وينال العلاج اللازم لشفاء قروحه وبرء جروحه ويأخذ بالفرح مرتلا مع النبى اعترف لك بخطيتى ولا أكتم اثمى قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت أثام خطيتى (مز ٣٢ : ٥)

وربما

وربما معترض يعترض علينا قائلا ان وصية الاعتراف اصعبة فكيف يقدر الخاطئ ان يقر بخطاياه ويعترف بذنوبه بانواعها اما كان يكتفى الخاطئ بان يقول أثمت بدون افصاح واجهار نوع الاثم فنجيب أولا. ان المسيح لاجرم قد سلم لرسله مغفرة الخطايا ولايصح ان يتأتى ذلك الا بواسطة الاخبار والاقرار بها بحسبما صنعت. لانه ما اكتفى بتسليمه لهم غفرانها بل ومسكها أيضا كى يغفروا البعض منها أى الخطاء الوجيز والبعض الآخر يمسكوه أى الخطأ الثقيل الى حين ما وذلك لايكون الا بواسطة أطلاعهم على عظم أوصغر الخطيئة. ثانيا ان الكاهن بمقام الطبيب الجسدانى الجسمانى الذى لايداوى المرض الا ان أطلع عليه. وكما ان المريض يضطر رغما عنه ان يبين له دائه بالنوع والكيفية والسبب كى يستحق أن يعطى علاجا شافيا ناجعا بمرضه. هكذا الخاطئ يلتزم ان يبين للطبيب الروحانى وجع نفسه ومرضها بنوعه وكيفيته كى يستحق ان ينال البرء التام والشفاء الكامل. ثالثا وأخيرا ليتأمل الخاطئ حقيقة الامر. كيف يا ترى يعتريه الحياء والخجل من اقراره بخطاياه امام فرد انسان. حالة كونه قد ارتكبها بمشهد من جمهور يحصى ولا يعد من الملائكة حتى الاله نفسه بدون حياء ولا خجل ثم ليتأمل أى الحالين أسهل عليه. أارتكابها على مرأى

أعين هؤلاء جميعهم . اوالاقرار بها قدام أحد الاناس
المربوط بناموس كاسي كي يحافظ على كتم الاسرار حتى لو
وضعت على منكبيه السيوف ولو قيد بسلاسل العذابات جميعها
أخيرا ليتأمل بشدة ماسوف يقاسيه من الخجل يوم مايقف عريانا
امام الاله والناس والملائكة و يشتهر اثمه لدى الكافة و يعادل
هذه الحال بالحال التي تشمله عند اقراره بذنوبه امام انسان
مشتمل بالضعف البشري وموضوع لصدمات مخاطر الخطاء
و ينظر واجهية آيتهما فيتأكد حينذاك ان الافصاح بالخطاء
قدام الكاهن هو سهل جدا بالنسبة لاشتهاره امام الا له
والعالمين

وبعد مايعترف التائب يلتزم ان يخضع لمراسيم الكاهن
والعمل بموجبها أي يمارس العلاج الروحي الذي يتلقاه من
طبيب الانفس بكل دقة وهوقصاص أو تأديب له من أجل
الخطاء المصنوع منه وهو ليس على نوع واحد بل على أنواع
كثيرة و يجري بحسب عظم وصغر الخطاء و بحسب نوعيته وكيفية
أحوال التوبة وكل ذلك عائد على منفعة التائب وتقويمه
وقد يقاصص البعض بفرض أصوام باوقات معلومة دون تلك
الاصوام المفروضة من الكنيسة . والبعض صلوات والبعض
[illegible] والبعض صدقات وغير ذلك بحسب الظروف
واما

وأما وضع القوانين والقصاصات فهو من قبل أمر سيدي لان
المسيح الذي قال لتلاميذه كلما تحلونه على الارض يكون
محلولا في السماء قال أيضا كلما تربطونه على الارض يكون
مربوطا في السماء. والذي قال من غفرتم له خطاياه غفرت
قال أيضا من أمسكتم خطاياه مسكت . فامر صريح هذا عن
وضع القوانين وحلها . ونتعلم ذلك مما فعله بولس الرسول بذلك
الذي وقع في خطيئة الاختلاط بالدم . اذ فرض عليه قانونا صارما
بقوله . أما أنا فقد حكمت باسم ربنا يسوع المسيح بان يسلم
مثل هذا الى الشيطان (يعني الافراز من شركة الكنيسة) لهلاك
الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع (١ كو ٥ : ١-٥)
وبعد ذلك لما قدم توبة صادقة قال لهم يكفي هذا الانسان
ذلك القصاص الذي من الاكثرين حتى ان الاحرى لكم
ان تسامحوه وتعزوه لئلا يبتلع مثل هذا من الغم المفرط . ولذا
أطلب اليكم ان تؤكدوا له محبتكم (٢ كو ٢ : ٦-٨) فمن
ذلك وكثير من شهادات أباء الكنيسة التي لا يطيق درجها
هذا المقام قد حققنا كل التحقيق هذا الامر. وهنا نوجه خطابنا
نحو أطباء الانفس . يقتضي ان يكون المعرف بمقام الطبيب
الحاذق الذي يبحث عن الداء وسببه وماهيته ثم يناوله العلاج
اللائق له هكذا الطبيب الروحاني ينبغي له ان يكون ذا رشد

وتمييز ومعرفة كبرى حتى يقدر ان يعالج كلا على حسب ماتقتضى حاله مثلا صاحب الخطاء الثقيل يقاصصه على ثقله والخفيف على خفته و يقابل كل داء بضده . فالسارق يفرض عليه صدقة أورحمة . ومثله المغتصب والظالم والحسود والطماع . والزانى يفرض عليه صوما ومثله السكير والنهم والشهوانى والمتكبر يفرض عليه ركعات متوالية . وعلى كل ينبغى ان يراعى سن التائب وصحته . فالشيخ أوالمريض لايستطيع ان يقوم بتأدية فريضة الصوم والركعات المتوالية فمثل هذا يكفيه فرض صلوة أوصدقة كبيرة ان كان غنيا وصغيرة ان كان فقيرا وهكذا يتمم الوصية الرسولية . أيها الاخوة ان انسبق انسان فاخذ فى زلة ما فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا (غل٦ : ١)

وأماعظم أوصغر الخطيئة فمن قبل مرتكبها . لانها قد تكون واحدة بحسب الفعل من حيث هو وانما يعظم أو يصغر شرها من قبل فاعلها مثال ذلك خطيئة الزنا واحدة بحسب الفعل ولكنها تتميز بحسب الشخص والنوع والرتبة والسن أو الحال والمكان والزمان . فبحسب الشخص ان مضاجعة الذكور أشر من مضاجعة الاناث ولو لم يكن كذلك لما ميز الرسول الواحدة من الاخرى فانه لما قال لاتضلوا لازناة أردف قائلا ولا

مضاجعى

مضاجعى ذكور (١ كو ٦ : ٩) وانظر رسالته لاهل رومية (١ : ١٧) والنوع ان مضاجعة من لم يكن من أهل الايمان افظع ممن كان من أهل الايمان . والرتبة خطيئة الاكليريكى أقبح من خطيئة العلمانى وهكذا قل عن الجاهل والعالم . والسن أو الحال . زنى من له امرأة والشيخ كسرقة من هو غنى فهو أشر من زنى العازب والولد الصغير . والمكان ارتكاب المعصية فى بيوت المعابد والهياكل المقدسة أدهى من ارتكابها فى بيوت الزوانى . والزمان الخطيئة المزمنة أعظم من المرتكبة حديثا

فعند ماينظر الاب الروحى بالخطيئة يقاصص جانيها كما ينبغى و بعد مايقوم بتادية القانون المفروض يتلو الكاهن حينئذ على رأس التائب قانون الحل و يقول له . هاأنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر (يو ٥ : ١٤) ثم يؤمره ان يتناول الغذاء الروحى و يشرب من كأس الخلاص المحيى أى يشترك بالجسد الكريم والدم الزكى كما قال المسيح . من يأكل جسدى و يشرب دمى فله حيوة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الاخير لان جسدى مأكل حقيقى ودمى مشرب حقيقى من يأكل جسدى و يشرب دمى يثبت فى وأنا فيه (يو٦ : ٥٤-٥٦)

أما واجبات التائب بعد ذلك فهى لكى يمكنه ان يلبث على

طهارته ويستمر على قداسة ذاته . أولا أدمانه الصلوات ومواظبته على الطلبات . ان الانسان بمجرد قوته لايستطيع ان يقتني الطهارة ويستمر عليها دون العناية الالهية المساعدة على ذلك . لانه قال بدوني لاتقدرون ان تفعلوا شيئا (يو ١٥ : ٥) وبما ان عناية الله لايمكن ان تزور الانسان وتستمر معه الابواسطة أدمان الصلوة ودوام التضرع . فالصلوة قسم جوهري واجب على التأيب القيام به والتعود والاستمرار عليه . وكما اذا حضر انسان امام حاكم لايلتفت اليه الحاكم ويعتني به الااذا أدام الاتجاه نحوه والالتفات اليه . بخلاف مالوحول نظره لجهة أخرى وأعطى الحاكم قفاه فانه لايعتني به ولا يقضي مصالحه فالحالة هي بعينها . فاننا اذا لم نوجه نظرنا ونلتفت نحو هذا الحاكم الموجود بكل مكان وكل زمان لايدركنا بعنايته ولايشملنا بمعونته ونعمته التي هي واسطة تحفظنا بالطهارة . فاذا ينبغي ان نداوم الصلوة لهذا الغرض بعينه . كما أوصانا الرسول احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير وبعد ان تتمموا كل شئ ان تثبتوا مصلين بكل صلوة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين (افس ٦ : ١٣ و ١٨) اذا فالصلوة هي العلة والآلة

لالتفات

لالتفات واتجاه عناية الباري نحونا كي نقوم بها بواجبات الطهارة وحفظ كل منا بلا دنس من العالم (يع ١ : ٢٧) ثانيا بغض التائب للخطيئة بغضا شديدا وعزمه الثابت على اصلاح سيرته مادام حيا وبقيد الوجود وعمله باثمار تليق بالتوبة . ان يوحنا بن زكريا كان يطلب من الفريسيين والصدوقيين اثمارا تليق بالتوبة (مت ٣ : ٨) وبطرس الرسول كان يطلب من اليهود التوبة والاستمرار عليها . بقوله لهم . توبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم (اع ٣ : ١٩) وهذه الوصية بعينها قد أوصى بها الروح أسقف افسس بقوله اذكر من اين سقطت وتب وأعمل الاعمال الاولى والا فاني آتيك سريعا وأزيل منارتك من موضعها ان لم تتب (رؤ ٢ : ٥) فاذا لم يتب الانسان ويستمر على التوبة يرجع الى مرض عضال . يعسر على الطبيب مداواته . وتكون أواخر ذلك المرء أشر من أوائله (مت ١٢ : ٤٥) وحينئذ يماثل الكلب الذي يعود الى قيئه والخنزيرة التي تغتسل في حمأتها (٢ بط ٢ : ٢٢) فلا يستطيع أبدا ان يقدم توبة مرضية ويستمر عليها لكن يبقى كالطير المكسور جناحيه الذي يقوم ويقع الى آخر حياته

وأما الذي يبغض الخطيئه وأعماله الاولى التي جناها بعلم أو

يجهل و يعد قلبيا ويحقق بذاته و يؤكد بنفسه ويعزم عزما صادقا على عدم ارتكابه الاثم بل مايقود اليه أيضا ويحترس من الاسباب الموصلة للخطيئة و يتجنب الطرق التى تؤدى اليها ويبغض كل أمر يضاد قداسة ذاته ونقاوة خالقه ومخالفة شريعته فمثل هذا يكون كالبيت الذى بنى على الصخر الذى لايسقط من مصادمة عواصف الرياح وملاطمة أمواج الامطار (مت٧ : ٢٤) فيستحق أن يرى الاله الذى هو اعظم من كل لذة لانه مكتوب طوبى للانقيا القلب لانهم يعاينون الله (مت٥ : ٨)

ثالثا وأخيرا . لايكفى الانسان مجرد الاقلاع عن الاثم لا... فضلا عن كونه لايستطيع ان يستمر على ذلك أى ان يتجنب أعماله الاولى . فانه مضطر ان يقوم بما يخالف أعماله التى تاب عنها و يضاددها بعكسها . فالذى كان متكبرا يجب ان يصير متواضعا . والذى كان عدوا يقتضى ان يصير محبا والذى كان غضوبا يلزم ان يصير حليما متأنيا والذى كان سارقا يضطر ان يصير رحوما محسنا . والذى كان زانيا أوشرها يصير عفيفا متنسكا . وهكذا اذ يتحرر من أعمال الظلمة يتعبد لاعمال النور . وعن هذا قال الرسول واذا عتقتم من الخطية صرتم عبيدا للبر أتكلم انسانيا من أجل ضعف جسدكم لانه كما

قدمتم

قدمتم اعضاءكم عبيدا للنجاسة والاثم للاثم هكذا الان قدموا اعضاءكم عبيدا للبر للقداسة (رو٦ : ١٨و١٩) وقوله اخلعوا من جهة التصرف السابق الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتجددوا بروح ذهنكم والبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق (افس٤ : ٢٢-٢٤) وقوله لانكم قبلا ظلمة وأما الآن فنور فى الرب اسلكوا كاولاد نور . لان ثمر الروح هو فى صلاح و بر وحق مختبرين ما هو مرضى عند الرب (افس٥ : ٨-١٠) فالحاصل ان التائب يلتزم كيما يثبت ان يغير تصرفه السابق المضر بما هو صالح وحق ومفيد وحينذاك يقتنى الحياة التى فى المسيح يسوع ويرث الميراث الابدى

ملخص هذا الكتاب

ان الصلاة عبادة واجبة تطلب من كل مسيحى وهى أجمل وأفضل أعماله الادبية والدينية والسبب فى ذلك كونها تبلغ بذويها الى الله الذى هو أفضل الموجودات . وتهذبهم وتصلح باطنهم وتولد فى أنفسهم خوف الله وتقواه وتنعش ضمائرهم وتستضىء بها عقولهم وتستنير أفكارهم ثم تهبط بها العطايا

الربانية والمواهب الروحية وترفع عنهم البلايا العالمية . وتقيهم من الضربات الشيطانية . ومن أجل ذلك قال المسيح واعداً كل ماتطلبونه حينما تصلون فامنوا ان تنالوه فيكون لكم (مر ١١ : ٢٤) أى كل شئ يعود عليكم بالفائدة الصالحة والربح الفاضل . لان قوله كل ماتطلبونه قضية كلية أى كل الصالحات المفروض طلبها والمفتقر اليها دون ماسواها . وما يبلغ المرء به الى كل الصالحات فهو كمال بدون مراء . فلهذا السبب قد تشاغل الاباء الافاضل بالصلاة واهتموا مدة حياتهم تعويلا على انهم ينالون الصالحات و يبلغون الى حدود الكمال بها . وقد قال أحدهم . ان مداومة الصلاة علة لتحصيل كافة الفضائل بنفس العابد . ولهذا قد نهج لنا المسيح طريق العبادة وعلمناها باستعماله الصلاة سرا وجهرا بالسراء والضراء وأقرن لنا بها دفع الرزايا ومنع البلايا واجتناب الرذائل واكتساب الفضائل . ولكي نبين جوهر الصلاة نقول ان اسم الصلاة أمر عام يندرج تحته ماقل وكثر من أقسامه وما مدح وذم من أنواعه فيجب على المرء ان لا يغتر اذا سمع وقيل له عن انسان كونه مصليا وعابدا فلا يجب ان تدخل عليه الغفلة و يأخذه الغرور كل مأخذ من قبله . بل يقتضى بالحرى ان يسبر و يختبر أمره ويحققه كي يعلم باى معنى عابد وصلاته أى نوع

هو

هو . لان الصلاة معناها بحصر اللفظ وقيد اللغة الدعاء أو الطلب . والطلب يجوز ان يكون طالبا للنافع والمضار جميعا كما سبق ذلك فاذا لم يقترن بهذا اللفظ أمور مشكورة ومقاصد مبرورة والا لاصبحت متوقفة على الامكان بجواز الامرين أى المدح والذم والضار والنافع جميعا . وهذا التنويع يجرى بالصوم بل بسائر الفضائل الشرعية . فما أكثر ما حبطت مساعى الصائم وكان صومه سببا لجلب أمور رديئة ورذائل لافضائل ووبالا لا كمالا وسقوطا لاصعودا لان معنى الصوم بحصر اللفظ هو الامساك والكف عن القوت . وهذا العمل ان لم يقترن به رؤية محمودة ونية صالحة والا ابقى الامساك وحده رذيلة مذمومة . فعليكم أيها العابدون ان تقرنوا صومكم بتوجيه النية لرضى البارى ولاتدعوا أخصام البيعة ان يدعوا عليكم بان صومكم ماهو الا تغيير أطعمة . لانكم مطالبون بالعمل واقتران النية الخالصة لله . فان لم تكن نيتكم موجهة نحو رضى الله تعالى أصبح عملكم عملا مجردا مسلوبا من الشكر لاثواب له و يضحى عملكم بهذا الاعتبار لافضيلة ان لم يكن رذيلة حسب مقاصد الضمير السيئة ورداءة النية . أو عملا من أجل تحصيل منافع دنيوية وفوائد وقتية وكلاهما سيئات وهذا هو عين الصوم الذى صامه بنو اسرائيل حيث ناداهم

الوحى اعلانا بعدم قبول مثل هذا الصوم قائلا اياى يطلبون يوما فيوما و يسرون بمعرفة طرقى كامة عملت برا ولم تترك قضاء الهها يسألوننى عن أحكام البر يسرون بالتقرب الى الله يقولون لماذا صمنا ولم تنظر ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ . ها انكم فى يوم صومكم توجدون مسرة و بكل أشغالكم تسخرون ها انكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بكلمة الشر الخ (اش ٥٨ : ٣-٤) أنظر وجه ٢٩٦ من هذا الكتاب . فالحاصل ان الصلاة والصوم والنسك والعفة والعبادة بجميع أنواعها أمور مشتركة بالكلية واعمال عامة مشاعة يصح ان تطلق على المؤمن بالروح والحق والكافر أيضا . وانما تختلف وتخصص بحسب المقاصد وتوجيه الضمائر . والتخصيص يكون بهذه الكيفية . ان المؤمن الارثوذكسي العابد بالروح والحق يقصد و يضمر ويتوجه بعبادته نحو رضى الله تعالى رغبة ببلوغ القربى اليه وتحصيل الزلفى لديه . ولكن الرائى والغير مؤمن يتوجهان بعبادتهما من أجل اجتلاب المديح من الناس والافتخار امامهم . فباختلاف الضمائر تعينت الفضيلة وتميزت الرذيلة . فعلى هذا تكون الفضيلة مفتقرة الى ثلثة أمور وهى الاجزاء المقومة لها . وأولها العمل ثانيها اخلاص النية أى السعي بالعمل باطنا كما فى الظاهر . ثالثها توجيه النية

الجهة

الجهة المرضية . فمن هنا نستدل ان العمل اذا كان مجردا لذاته باطل فاصلح أيها المؤمن باطنك ليقبل عملك . لان هابيل وقايين كلاهما قدما عملا واحدا ولما اختلفا فى الضمائر والمقاصد قبل أحدهما والآخر رذل فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر (تك ٤ : ٤و٥) فلو كان العمل مجردا يعول عليه لمدحا الاثنان . ولو كان يشكر صاحبه لشكرت البهائم زيادة عن غيرها لزيادة عملها وكثرة أثقالها . واعلم ان الذى يعمل عمله ساذجا خاليا من القرائن المحمودة قد خسر أمرين أحدهما تكبد المشاق وتحمل المتاعب وحصول العناء . والثانى فعله بدون مقابل وعدم نواله الجزاء فاحرص أيها المؤمن واحذر ان تعمل عملا يعود عليك بالوبال و بالخيبة أجلا بل أغلق بابك على عملك وأتقنه سرا و بالخفاء فتنال جزاءه جهرا فى السماء (مت ٦ : ١٨) ولا يخفاك أيها المتعبد والمكرس ذاتك لخدمة مولاك وطاعة سيدك . ان العبادة اذا كانت مرفوقة بخلوص الضمير لله اى بالمحبة له فى الباطن كما فى الظاهر فهناك تتم الفضيلة و يحرز الكمال لان محبة الاله فكرا وقولا وفعلا هى كمال مناقب العابد وهى عنصر لاغتناء باقى المزايا مثال ذلك كل محب لله فهو مؤمن به وليس كل مؤمن محبا له . والفرق بينهما معلوم لان حد

الايمان ان يؤمن المرء بوجود الاله كونه قادرا مسلطا على كيت وكيت . وحد المحبة هو ان يكون المؤمن متصلا بذلك الاله القادر فحق المحبة هو الاتصال بالمحبوب اتصالا معنويا بخلاف الايمان. الا ترى ان الايمان يشترك فيه المحب والعدو جميعا والمحبة بالعكس والدليل على ذلك ان ابليس أعدى عدو لله مع كونه يؤمن بوجوده ومتأكدا اقتداره على سائر البرايا ومن هنا نستدل على ان المحبة أصل والايمان فرع والاصل متقدم على الفروع طبعا ومن أجل ذلك قال الرسول أما الآن فتثبت الايمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة (١ كو ١٣ : ١٣) لانه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيأ ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة (غل ٥ : ٦) فمحبة الاله هي كمال الفضيلة وهي علة الصلاة والصوم ومصدر كافة العطايا الصالحة

وكمال العابد وقبول عبادته يتوقفان خلا محبة الاله على محبة القريب ومحبة القريب أهم ما تقوم به الصدقة على المساكين وارفاد المنقطعين وفعل الجميل لسائر المؤمنين وبعد ذلك للناس أجمعين . كما قال الرسول فاذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لاهل الايمان (غل ٦ : ١٠) ألا ترى أيها العابد انه بعدم هذه الخلة بت المسيح الحكم على أصحاب الشمال بالذهاب الى العذاب وبها

استحق

استحق أصحاب اليمين الخلود في نياح الابد ومن الامور البديهية ان الشئ لا ينال الا بمثله فالكمال لا ينال الا بالكمال . والاحسان بما ان ثوابه الخلود في النعيم أي الراحة الكاملة فهو عمل كامل وبر فاضل . ونفعه متحصل من وجهين أحدهما من جهة الفاعل أي المحسن كونه يثاب أجلا والثاني من جهة المفعول أي المستعطي كونه يقتات ويرفد ويساعد عاجلا . واذا كان خالص النية وطاهر الطوية يجازى أجلا . لان النعيم ليس لفاعل الاحسان بل ولقابله أيضا لان الفقير المتحمل فقره بالصبر والمتكبد المشاق بطول الاناة والشكر له فضل وثواب جزيل فيشترك المحسن والمحسن اليه بنوال الاجر ويجمع هذين النص السيدي القائل طوبى للجياع والعطاش الى البر لانهم يشبعون (متى ٥ : ٦)

على ان انسحاق الضمير وتواضع القلب ووداعة النفس في فعل الجميل وصنع الخير وبكافة أمور التدين الدينية وأحواله الروحية صفات لازمة ضرورية بهذا المقدار ويجمع هذه الصفات التواضع الباطني أي مسكنة الروح ومحقرة الذات لان المسيحي يكمل بها ويستحق ان ينال الكمال أي الملكوت كما قال المسيح طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السموات (متى ٥ : ٣) وقد قال الوحي بفم النبي في الموضع

المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لاحي روح المتواضعين ولاحي قلب المنسحقين (اش٥٧ : ١٥) ومن المعلوم ان الله كامل ولا يحل الا بموضع كامل . فنفس المتواضع على ذلك تكون أكمل واشرف النفوس باسرها لانها تصير مسكنا لله وهيكلا للروح القدس ولهذا قال السيد له المجد . تعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (مت١١ : ٢٩) وهنا ملحوظ لاتغفل ايها المتعبد عنه . وهو قد يجوز ان يكون الانسان متواضعا وغير متواضع فى الآن الواحد لانه من المحتمل ان يكون بحسب الخارج أى على مرأى العين متواضعا ولكنه بحسب الباطن محل الكبرياء وموضع التشامخ ومحط روح الافتخار والعظمة . فمن كان بهذه الصفة تواضعه يكون على سبيل ومعنى السياسة والمسايرة بين الناس والمسالمة واللطافة والادب والتمدن الامور التى يفتقر اليها المرء من أجل قضاء حاجة الحيوة الوقتية وسد فاقة العيشة الزمنية والعائد منها ماهو الاعاجل وقتى وفائدتها حالية وشتان مابين هذا التواضع المدنى والتواضع الباطنى الدينى الذى هو محقرة الذات واهانة النفس فان تحته طائلة لاتنحصر ليس فى هذا الزمن فقط بل وفى المزمع . وهذا هو التواضع المشكور المحمود الذى يعتمد عليه و يرجى ثوابه وعنه قال النبى ذبائح

الله

الله هى روح منكسرة . القلب المنكسر والمنسحق لايرذله الله (مز ٥١ : ١٧) فتواضع الضمير هو الامر المقبول والمشكور وعليه اعتمد الناسكون مقتدين بالمسيح ومتعلمين منه فضيلة التواضع ومن البداهة ان أعظم شئ يهين المتدين و يشين العابد و يجعله محتقرا ومرذولا باعين الله والناس هو الكبر كما ان أعظم شئ يكرمه و يجعله فاضلا ومبجلا هو التواضع . وكما ذاك أقبح رذيلة وأشرها ومصدر لكل شائبة وضرها هذا أكمل فضيلة ومقر لكافة الخصال الحميدة وعلة لسائر الخلال المجيدة

ومن هذا القبيل الصبر والجلادة والاحتمال وهى أمور ناتجة عن التواضع ان لم تكن هى مجموعه أوفضيلته المتعدية . لان ثمرة التواضع الحقيقى هى الصبر على الاتعاب واحتمال الاثقال والاوصاب . وبهذه الصفة يبلغ المتدين الى مقر الخلاص وميناء النجاة كما قال المسيح الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص (مت٢٤ : ١٣) وقال الرسول بضيقات كثيرة ينبغى ان ندخل ملكوت الله (اع١٤ : ٢٢) فالصبر هو الواسطة الوحيدة للخلاص والقائد الامين والمرشد الوديع الذى يمر و يسير بنا فى سبيل هذه الحيوة بدون اعتساف ولا عثرة و يجعلنا ان نطأ كل موبقة وندوس كل نازلة وضيقة بدون مؤذية

وهو العلة والآلة لاقتناء كل فضيلة . والدليل على ذلك . ان تحصيل الفضيلة تكليف . والتكليف منحصر بامرين . وهما السعي أو الاجتهاد والصبر أو الاحتمال . فالذي شرع بتحصيل فضيلة ان لم يردف عمله وسعيه بالصبر والاحتمال لايستطيع ان يبلغ به الى منتهاه و يصل الى كماله . وعلى ذلك قالت الآبا . ان الصبر حيلة من لا له حيلة . وأهم ماتقوم به فضيلة الصبر بحسب الخارج السكوت والصمت وبحسب الداخل طول الروح والاناة وهما أمران متلازمان كلزوم الروح البدن فالسكوت نافيه افتراط الشفاه والهذر والهذاء فمن كان متصفة من هذه الصفات تراه على الدوام معرضا لخطايا كثيرة متنوعة يرتكبها بدون علم وأشعار وعنه قال الحكيم كثرة الكلام لاتخلو من معصية أما الضابط شفتيه فعاقل (أم ١٠ : ١٩) وقد قال النبي جيد ان ينتظر الانسان و يتوقع بسكون خلاص الرب جيد للرجل ان يحمل النير في صباه يجلس وحده و يسكت لانه قد وضعه عليه (مرا ٣ : ٢٧و٢٨) وقد قال أحد الفلاسفة . قبل ان أنطق الكلمة لاازال مالكها واذا تفوهت بها سادت علي وملكتني وقال غيره لم اندم قط على السكوت ولكني ندمت على الكلام . والمرجح عندي ان تحصيل فضيلة السكوت مصدره وعلته ملازمة العمل

والمواظبة

والمواظبة على الشغل . كما ان كثرة الكلام والهذيان به تسببه الطياشة والنزاقة والخفة وهذه علتها بدون مراء البطالة والفراغ من العمل . لانه يمتنع على امرء متشاغل ومتولع بعمل ولاه به ان يجد فرصة و يسنح له الوقت كيما يأخذ باطراف الحديث حيث لايستطيع ان يتشاغل بامرين معا . ولقد اعتمد المتوحدون والنساك على هذا الامر أي الشغل ووجدوه أعظم وسيلة وأفضل واسطة لعمل الوحدة ولتحصيل فضيلة السكوت . فتمسكوا باهدابه وتجلببوا باثوابه . أما هو فكان لهم المرشد والحصن المنيع المتين . ولا تغفل عما قاله الحكيم بهذا المعنى . الحلم يأتي من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام (جا ٥ : ٢) وعكس هذا الامر البطالة أي الفراغ من العمل فانه يكون علة وخيمة لجلب مضار كثيرة وأخصها من اللسان . أما الحلم أي طول الروح فينافيه القنط والضجر والحرد والقلق وسرعة الغضب والانتقام دون سبب . والموجب لهذه عدم التروض بالصلاة وعدم نقاوة السريرة . فالمحصل ان السكوت وطول الروح ركنان عظيما الاهمية لثبات الصبر والاحتمال داخل المسيحي وهما أعظم حلية يتحلى بها في طريق التجارة المربحة الروحية بل أعظم سلاح يتسلح به في ميدان الحروب المعنوية وملاطمة الاميال الجسدية . وقد يوجد نوع آخر من الصبر

لانه ملء ذكره لكنه شر ووبال فانه يرجع الى خبث الضمير وفساد النية واعوجاج الطوية وأجله من أجل تحصيل اغراض عالمية . و بلوغ اميال جسدية فالصابر صبرا مثل هذا مذموم بفعله . وأما الصبر المحمود فهو المقرون بغرض محمود أى الصبر الذى يحود منه تحصيل رضى الخالق و بلوغ الزلفة السعيدة والفوز بالحيعة . وهو أما بالاجبار وأما بالاختيار وكل منهما صالح ومفيد اذا كان لمجد الخالق فالصابر رغما وقسرا عنه أى المتحمل الاحزان والتجارب والصابر على نزول النكبات والمصائب دون اختياره لايخلو من مجازاة صالحة والدليل على ذلك ماقاله الرسول مثالا على تلبية طلب الصابرين . هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل الى أذنى رب الجنود خذوا يااخوتى مثالا لاحتمال المشقات والاناة الانبيا الذين تكلموا باسم الرب هانحن نطوب الصابرين قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب لان الرب كثير الرحمة ورؤوف (يع ٥ : ٤و١٠و١١) والمتحمل طوعا منه وباختياره ثوابه أفضل من المتحمل قسرا وكرها وجبرا فيكونان بمقام الملك والعبد أوالغنى والفقير اذا تواضعا اذ يجازى الملك والغنى عن فضلهما زيادة عما يجازى به العبد والفقير فهكذا المتحمل المشاق والعذاب وهو ذوقدرة على أخذ

الثار

الثار والانتقام فمن أوقع به شرا أفضل من المحتمل العذاب وهو قاصر وهذا ناموس طبيعي يبادر المرء الى فهمه بالبديهة و بدون تأمل . فقصارى الكلام ان الصبر فضل كامل ومركز لكافة الفضائل ومصدر لسائر الخصال الحميدة . ألا ترى ان أيوب البار قد جمع بصبره كل أجزاء الفضيلة ومع كثرة مناقبه الصالحة وتنوع أعماله المبرورة لم يحفظ له ذكر صالح ويخلد له خبر مشكور الا بالصبر والجلادة ومن أجل ذلك طار صيته فى آفاق المسكونة بكل عصر وزمان اذ كانت جميع محاسنه وأعماله المتقدمة متوقفا كمالها على ماأظهره اخيرا من الصبر وبه فاق على سائر الافاضل وصار قدوة وانموذجا لسائر الصابرين المبتلين وأكمل هذه الطريقة المسيح بصبره واحتماله كل نوع من المشاق اذا اطاع حتى الموت موت الصليب (فيل ٢ : ٨) وصار لنا معلما وحيدا ومرشدا فريدا وأوصانا مقويا ايانا ومعزيا قائلا . فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن تشجعوا أنا قد غلبت العالم (يو ١٦ : ٣٣) أى اصبروا على مايرد عليكم من البلايا والاتعاب واحتملوا مايصيبكم من الرزايا والاوصاب واقتدوا بى واتبعوا محبتى واصبروا صبرى واقتفوا اثرى . و بذلك يكون لكم الغلبة والظفر وتحرزون لواء السعادة وترفعون علم النصر . من يغلب فساجعله عمودا فى هيكل الهى

ولايعود يخرج الى خارج واكتب عليه اسم الهى واسم مدينة
الهى أورشليم النازلة من السماء من عند الهى واسمى الجديد
(رؤ ٣ : ١٢) فعلى هذا الامر بنى الافاضل اسوار مناقبهم
وعلى هذه القاعدة شادوا دعائم أعمالهم وصاروا كالبدور
الكاملة فى سماء الكنيسة

والرجل الذى كرس نفسه لعبادة الاله يستحق ان يتوج
باكليل العمل الصالح اذا اقتنى بذاته نقاوة و بباطنه طهارة
و بنفسه قداسة . كوصية الرسول اتبعوا السلام مع الجميع
والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب (عب ١٢ : ١٤)
فالنظر الى الرب هو غاية مقصد المؤمن ونهاية أمل المتعبد
وتقديره الاتصال بمجده الذى لانهاية له وقد يعبر عنه بالاكليل
أى الجزاء . كما قال الرسول كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل
شئ أما أولئك فلكى يأخذوا اكليلا يفنى وأما نحن فاكليلا
لايفنى (١ كو ٩ : ٢٥) وهو المشار اليه بالملكوت المزمع الذى
دعا السيد العالم اليه وهذا هو حصول الكمال و بلوغ الآمال
ومحط الرحال . فطهارة المسيحى وقداسته ونقاوته هى من الامور
التى يتوقف عليها مدار الخلاص والنجاة من القصاص والتمتع
بمجد الاله و بهائه والاشتمال بنوره وسنائه فمغبوط العابد اذا
كان طاهرا وسعيد المتدين اذا كان بارا و بشراه اذا كان نقيا

ولتقر

ولتقر عيناه اذا كان عفيفا تقيا لانه مكتوب طوبى للأنقياء
القلب لانهم يعاينون الله (مت ٥ : ٨) لكن واأسفاه ان
الحصول على الطهارة أمر شاق فان الانسان المجد بطلب نقاوة
نفسه والساعى ببلوغ قداسة شخصه يصادف فى طريقه عثرات
متنوعة وصدمات مختلفة وموانع ربما فى بعض الاحيان تعيقه
عن السير بسبيل الطهارة و بلوغ المراد منها وذلك ان الانسان
يميل لطلب أربعة أمور عاجلة وأمرا واحدا أجلا . فالاربعة
هى الاول طلب القوت الضرورى . الثانى حشد الاموال . الثالث
العيشة بالبذاخة والنهمة واللذة البهيمية . الرابع المنزلة الشريفة بين
الناس والامر الواحد هو الحصول على الزاد للرحيل من هذه
الدار الفانية الى الباقية و بلوغ الراحة والنجاح فيها . فالفقير
المدقع تراه متشاغلا على الدوام بتحصيل القوت الضرورى
ومؤونة بيته واذا سدت فاقته وقضيت حاجته لايرتضى بالقليل
ولا تكتفى نفسه به بل يميل بقلبه الى جمع الاموال واحتشاد
الارزاق وارتباك المعيشة فوق مالا ينبغى واذا نال بغيته
وانجزت طلبته أى صار ذا ثروة جزيلة وغنى وافر يباشر بطلب
أمرين معا الاول المعيشة بالاسراف والتمتع باللذات العالمية
والشهوات الدنية والثانى يصرف باقى زمانه بحب الرفعة
والمقام والمنزلة وهكذا يقضى مدة حياته سدى بدون ربح

يعود لصالح نفسه وبينما هو على هذه الحال يفاجئه المنون فيجرعه كاسه ويفارق الدنيا تعيسا شقيا وحينئذ يتأكد ان الحيوة مهما طالت انما هى طيف دابر وظل عابر وان الغنى واللذة والمنزلة وان حوزها فانما هى اضغاث أحلام واشباح تخايل فى المنام

هى الدنيا تقول بملء فيها * حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى

والمرء بهذه الدنيا وتقلبه باحوالها مثل بما جاء من الامثال والنوادر المستظرفة . ومعناه ما يأتى بينما كان انسان سائرا صادف بطريقه فيلا فهاج عليه قاصدا ان يذيقه جرعة الموت فلما نظره المرء وكاد يدركه تنوى النجاة هاربا وعزم على الخلاص عفوا وفيما هو يعدو وجد بئرا فتعلق باغصان شجرة كانت نابتة على طرفها وتدلى فيها فحصلت قدماه طاقة ورسختا فيها واذا باربع حيات أخرجن رؤسهن من تلك الطاقة فتطلع الى قعر البئر واذا بتنين فاتحا فاه منتظرا وقوعه ليفترسه ثم رفع نظره واذا جرذان اسود وأبيض أخذان بقرض الاغصان لايكفان على الداوم ولا يفتران . فهذا الشقى والتعيس والمنكود الحظ بينما كانت الهموم تلعب برأسه ومتراكمة عليه والاحزان أخذة به كل مأخذ من كل جانب بالنظر لما لاقى ولما صادف من

من الاخطار اذا بصر بالقرب منه خلية نحل فيها عسل فذاقه واشتغل بحلاوته والتهى بلذته ونسى حالته وغفل عن نجاة ذاته وسها عما به من الخطر الشديد ولم يذكر ان رجليه معرضة للدغ حيات أربع وان الجرذين عما قليل من الزمن يقطعان الشجرة فيقع متدهورا ويهبط متدكردسا بعمق البئر فيذهب فريسة ويمضى طعاما هريسا لسنان التنين الماضيه فمازال هذا الانسان متناسيا ومابرح متقاعسا ومتناعسا ومافتئ متكاسلا ومتشاغلا متغافلا حتى قرض الجرذان جزع الشجرة فسقط فى البئر ومات أشر موتا فشبهت البئر بالدنيا الملآنة من المصائب والمفعمة من البلايا والمعاطب وان الانسان مادام موجودا فيها معرض لكل آفة ولكل رزية ولكل عاهة ولكل بلية . وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربعة البدنية التى متى هاج أحدها أوكلها سببت تغييرا مضرا فى البدن كالحية التى متى لدغت أحدا أضرت به وربما تكون النتيجة هلاكه . وشبه الجرذان اللذان أحدهما اسود والآخر أبيض بالليل والنهار وقرضهما بفناء حيوة الانسان . وشبه التنين بفروغ الاجل الذى لابد من المصير اليه . وشبه العسل باللذة الوقتية وزهاء العالم وزخرف الدنيا التى تشغل المرء عن النظر بحاله فتكون مانعة له وتعيقه عن اصلاح ذاته وتثقيف نفسه وما يحتاجه من أعداد المزاد

للمعاد فهذه حال المرء فى هذه الدنيا دنيا الاباطيل وهذه الغاية التى يصل اليها

ألا كل شئ ماعدا الله باطل . وكل نعيم لامحالة زائل

فالانسان المتعقل يختبر فيعتبر ولا يغتر من مثل تلك العوائق التى تصادفه فى سبيل تحصيله الطهارة ولذلك ينجو ويفوز بالخلاص وأحسن علاجا يداوى به المرء ذاته وسلاحا يحفظ به داره مادام سائرا بهذا العالم عالم الاخطار هو ان كان فقيرا يتأمل بمن كان غنيا فافتقر طوعا من أجله وعادل به ذاته ودعاه ابنا له الا وهو المسيح الاله الخالق والملك المقتدر الماسك بيده زمام ممالك العالم أجمع الذى جاء الى عالمنا فقيرا ذليلا حقيرا مثيلا . وحينذاك يعتبر الفقير ويحتمل مسكنته ويشكر المسيح الذى افتقر من أجله وتساوى به بالوضاعة الطبيعية واحتمال المشاق الزمنية والعيشة النسكية فيصرف افكاره عن التشاغل باحوال الحيوة الحاضرة والاعتناء بها فوق مالايجب ويتنبه للسعى فى طريق القداسة والجد بسبيل صلاحية نفسه والاستعداد للرحيل من دار الشقاء للتوطن بدار البقاء والتمتع بغنى المسيح الوافر ومجده الباهر . وان كان غنيا ذا ثروة عليه ان يتأمل بانقلاب أحوال الزمن وابتدال أمور المرء بغيرها وسرعة زوال مجد العالم وغناه . لانه كم من غنى بات على الاسرة

واصبح

وأصبح على الحضيض راقدا وكم من فقير كان مثواه التراب فغدى على الديباج قاعدا . فان المرء مهما كان موسرا ولم يتصرف بغناه فى طريق العدل والانصاف سيعود عليه بالشر والوبال لابالخير وحسن الاقبال . لان كل ثروة العالم وكل مجده وكل سعادته وكافة أنواع ملذاته ليست شيأ اذا كانت نفس الانسان فقيرة من نعمة الله ومجده . فالغنى فضلا عن كونه معرضا لطارئات الليل وطارقات النهار ومخاطر الوبى فانه لايستفيد بعد خسارة نفسه سوى صفقة الاواه وقبض الريح وحبس الخيال ومسك الزوال فى هذا العالم وفى الآخر يكون نصيبه خارجا مع الاثمة والخطاة والزناة والكذبة فاى طائلة تحت الغنى الذى يضمحل كالعاصف والثروة التى تبيد كالدخان حيث باطل الاباطيل الكل باطل . ماالفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس (جا١ : ٢ و٣) بل ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أوخسرها (لو٩ : ٥) فلو تأمل المرء بالحال التى يصير اليها لاعتبر واستطاع ان يحافظ على ذاته بالطهارة ومن ثم لايكون غناه سبب سقوطه بشر العصيان والضلالة والطغيان بل يكون آلة تساعده على اقتناء الفضيلة والسلوك بموجب وصايا الاله فيربح دنيا ودينا . أما دنيا فلانه يكون تحت حمى الاله وحفظ عنايته وصون رعايته

هو وأرزاقه وأمواله وعياله . ودينا لانه يكلل باكاليل السعادة ويتوج بتيجان الملك والسيادة . واذا كان شرها شهوانيا مائلا للذات العالمية . فليتأمل مثل هذا بامرين أحدهما ان كثرة الاطعمة غالبا تكون سببا لقصر عمره وفروغ أجله سريعا وتجرعه كاس المنون قبل ان يبلغ الى حد الشيخوخة ومن الهرم لان من عادتها حدوث الامراض والعلل المتنوعة . وعدم صحة البدن أمر جدير بالاعتبار لانه ينتج عنه تكدير الخاطر والكآبة القلبية واضطراب الضمير وسوء المعيشة المحزنة قال الحكيم . كل أيام الحزين شقية أما طيب القلب فوليمة دائمة القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم معهم (ام ٢٥ : ١٥) فعلى ذلك ان العيشة بالفقر والمسكنة والعفة والنسك صالحة ومفيدة حسيا ومعنويا . والثاني تسبب له قلة الاعتبار وتكسبه الاهانة والاحتقار من الخاص والعام فضلا عن تبذيرها الاموال بغير محلها وجلبها للمرء الفقر المدقع . فالصيت الردى والاسراف أمران يشينان المرء ويهينانه فى هذا العالم ويكون امامه باب الحيوة ضيقا وحرجا فيعسر عليه الدخول منه . ولكن اذا اعرض المرء عن اللذات العالمية والشهوات البدنية وكثرة المواكيل والمشروبات سهل عليه ان يقتني بذاته العفة ويربح بتجارته القداسة ويجد امامه باب الحيوة مفتوحا واسعا رحبا لايعيقه عائق

عائق عن الدخول . واذا كان ذا منصب رفيع ورتبة عالية شريفة عليه ان يتأمل بسرعة انحلال هذا العمر القصير وان الانسان مهما طال عمره فما هو الا كما قال عنه النبي كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل ييبس العشب ذبل الزهر لان نفخة الرب هبت عليه . حقا الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر واما كلمة الهنا فتثبت الى الابد (اش ٤٠ : ٦-٨) الانسان مثل العشب أيامه كزهر الحقل كذلك يزهر لان ريحا تعبر عليه فلايكون ولا يعرفه موضعه بعد (مز ١٠٣ : ١٥و١٦) فاذا اعتبر المرء بمن مر وطوى ذكره الدهر ومن سلف وكان ذا منصب رفيع وسودد منيع ورتبة وسطوة وابهة وسلطة فدرست اسمه كرور الايام ومحت ذكره مرور الاعوام ولم يبق له أثرولم يقف له على خبر . جدير به ان يجتنب الغرور ويعتبر العبر ويصحو من سهوه لاصلاح نفسه ويستحق الدخول من الباب الى حظيرة الخراف حيث الابرار والصديقون طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحيوة ويدخلوا من الابواب الى المدينة . لان خارجا الكلاب والسحرة والزناة والقتلة وعبدة الاوثان وكل من يحب ويصنع كذبا (رو ٢٢ : ١٤و١٥) تم الكتاب

﴿ فهرس الكتاب ﴾